الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أحمد دراية أدرار
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية
قسم العلوم الإنسانية

الرقم التسلسلي:

رقم الجرد:

العنوان

ثورتا إبن الأحرش و عبدالقادر ابن الشريف في الجزائر أواخر العهد العثماني

(1215-1224ه)(1800-1809م) دراسة مقارنة

مذكرة مكملة لمتطلبات شهادة الماستر في التاريخ

إعداد الطالبان:

بوجمعة داده

عبد الرحمان باكو

إشراف :

أ.د محمد حوتية

السنة الجامعية : 1439/1438ه -2018/2017م

دورة:ماي 2018

مقدمة

شهدت الجزائر في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني إضطرابات شملت جميع المجالات ، بالرغم من المحاولات التي قام بها الدايات للإصلاح، إذ جاءت في وقت متأخر تفاقمت فيه الأوضاع الداخلية للبلاد من الناحية الإقتصادية و السياسية و حتى الإجتماعية مع تزايد حالة تذمر و السخط لدى الاهالي وتعدد الغارات الخارجية مع إشتداد التنافس الأنجليزي الفرنسي لإكتساب مناطق النفوذ، ففي مطلع القرن التاسع عشر عرفت الجزائر سلسلة من الثورات، التي تزعمها المرابطون و شيوخ الطرق الصوفية، بعدما تم تحرير آخر الثغور من الإحتلال الإسباني، بدأت بوادر النفور و القطيعة بين الطرفين وتعد ثورتي الدرقاويين التي اندلعت في بايلك الشرق بزعامة ابن الأحرش و في بايلك الغرب التي تزعمها عبد القادر ابن الشريف، من أخطر الثورات التي هددت التواجد العثماني في الجزائر.

وفي هذا الإطار تندرج دراستنا لثورة درقاوة في إيالة الجزائر أواخر العهد العثماني (1800-1809) كمحاولة منا لإبراز أهم الجوانب من ثورة ابن الأحرش و عبد القادر ابن الشريف ضد السلطة الحاكمة.

- **دواعي إختيار الموضوع:** جاء إختيارنا لموضوع " ثورتا ابن الأحرش و عبد القادر ابن الشريف في الجزائر أوخر العهد العثماني دراسة مقارنة لعدة إعتبارات نذكر منها:
- ميلنا الشخصي إلى دراسة تاريخ الجزائر في الفترة العثمانية و رغبتنا في الإطلاع و البحث عما كتب في تلك الفترة، خاصة الفترة الاخيرة من الحكم العثماني في الجزائر.
- تقديم دراسة كاملة حول الموضوع الذي كان محل جدل لدى المؤرخين و الباحثين، ولازالت بعض جوانبه غامضة إلى حد الآن.
- الرغبة في كشف المزيد من الخبايا و الأسرار حول موضوع الدراسة التي لم تحظى إلا ببعض الإهتمام من قبل الباحثين

- معرفة نوع العلاقة التي كانت تربط السلطة الحاكمة بالرعية في فترة أعتبرت فيها الجزائر شبه مستقلة عن الدولة العثمانية، وتميزت بكثرة الفتن و الإضطرابات.
- معرفة مدى تأثير هذه الثورة في نهاية الحكم العثماني في الجزائر.

الإطار الزماني و المكاني: حددنا الإطار الزماني بالفترة الأخيرة للحكم العثماني في الجزائر أي ما يوافق (1206هـ/ 1791م) وهي السنة التي تم فيها تحرير مدينة وهران من التواجد الإسباني و بدأ الضعف يدب في نظام الحكم العثماني في الجزائر إلى سنة (1225هـ- 1809) وهو تاريخ القضاء على الدرقاويين في إيالة الجزائر.

أما الإطار المكاني فيتمثل في بايلك الشرق مسرح ثورة ابن الأحرش و كذلك بايلك الغرب وهو مسرح ثورة عبد القادر ابن الشريف الدرقاوي.

- إشكالية الدراسة:

و لمعالجة هذا الموضوع تمحورت الإشكالية الرئيسية كالآتي: هل كانت الثورة الدرقاوية وليدة الأوضاع التي كانت تعيشها الجزائر أواخر العهد العثماني؟ أم أنها كانت نتيجة تحريضات خارجية؟ و ماهي أهم إنعكاساتها على السلطة و الرعية؟

ومن خلال الإشكالية العامة نطرح جملة من الأسئلة الفرعية و هي كالتالي:

- كيف تميزت الأوضاع العامة للجزائر نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر؟
- ماهي العلاقة التي كانت تربط الزوايا و الطرق الصوفية بالسلطة الحاكمة في العقد الأخير من الوجود العثماني؟
- هل كان للبعد الديني دورا أساسي في نشوب الثورة الدرقاوية؟
- إلى أي مدى ساهمت هذه الثورة في إنهيار نظام الحكم العثماني؟
- وفيما تمثلت الدوافع الحقيقية لهذه الثورة؟ وما موقف الأهالي و العلماء منها؟

*المنهج المتبع في الدراسة: لقد إتبعنا في دراستنا للموضوع على المنهج التاريخي، للوصول إلى الحقيقة التاريخية بكل موضوعية وحتى لا نتيه في دوامة الذاتية و الإنحياز إلى جانب على حساب جانب آخر، إعتمدنا على وصف و سرد الأحداث و الوقائع وفق التسلسل الزمني، إذ أن طبيعة الموضوع تفرض علينا وصف الأحداث التاريخية لثورتي ابن الأحرش و عبد القادر ابن الشريف الدرقاويين بكل تفاصيلهما، ثم قمنا بتحليل الحدث و شرحه مع ذكر الشخصيات الفاعلة و المتفاعلة معه كما اعتمدنا على المنهج المقارن الذي ساعدنا في استخلاص اوجه التشابه و الإختلاف بين الثورتين.

*الخطة المتبعة للدراسة:

جاءت الخطة التي اعتمدنا عليها في معالجة موضوع الدراسة مهيكلة كالتالي :

أولا مقدمة التي تطرقنا فيها إلى التعريف بالموضوع، و دواعي إختياره، والإشكالية المطروحة بالإضافة إلى المنهج المتبع و الخطة المعتمدة في البحث وكذا المصادر و المراجع المتعلقة بالدراسة و في الأخير الصعوبات المعترضة في هذا البحث .

و بعدها أربعة فصول إحتوى كل فصل على مجموعة من العناصر، حيث تناولنا في الفصل الأول الظروف و الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر القرن الثامن عشر و بداية القرن التاسع عشر الخارجية و الداخلية منها، فتطرقنا إلى الأوضاع السياسية التي عرفت فوضى كبيرة بحيث إنعكس هذا الوضع على السكان و كذلك الأوضاع الإقتصادية و الإجتماعية.

- أما الفصل الثاني تناولنا فيه ثورة ابن الأحرش في بايلك الشرق حيث تناولنا بالتفصيل أسبابها و مراحلها و أهم المواجهات التي كانت بين ابن الأحرش و بايات قسنطينة ثم خلصنا إلى نتائج و أسباب فشل هذه الثورة.

- أما الفصل الثالث خصصناه لثورة عبد القادر ابن الشريف الدرقاوي في بايلك الغرب بحيث فصلنا في أحداثها من باب ذكر اسباب هذه الثورة، و أهم المواجهات التي كانت بين ابن الشريف و بايات وهران و أهم النتائج التي تمخضت عنها هذه الثورة و أسباب فشلها.
- أما الفصل الرابع و الاخير فقد أردنا أن يكون دراسة مقارنة بين ثورة عبد القادر ابن الشريف و ثورة ابن الاحرش من خلال نقاط التشابه و الإختلاف بين الثورتين.

وختمنا دراستنا بخاتمة إحتوت على أهم النتائج التي توصلنا إليها كما أرفقنا العمل بقائمة المصادر و المراجع المعتمدة.

- المصادر و المراجع الخاصة بالدراسة:

لقد اعتمدنا في بحثنا على مجموعة من المصادر و المراجع التاريخية الهامة في نقل بعض الحقائق الخاصة بالموضوع نذكر في بدايتها كتاب المرآة لحمدان خوجة الذي يعد أهم مرجع لمطلع القرن 19 و الذي تحدث عن الأحداث التي عرفتها الجزائر منذ النصف الثاني من القرن 18م و كذلك كتاب طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و إسبانيا وفرنسا للمزاري بن عودة الذي ساعدنا في معرفة الاحداث السياسية التي تعرضت لها مدينة وهران خاصة ثورة درقاوة إضافة إلى أهم الإنجازات التي قام بها البايات الذين حكموا وهران وسياستهم.

ومن المصادر كذلك إعتمدنا على كتاب "الزياني" دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران و كتاب الثغر الجماني لإبن سحنون حيث عاصرت هذه المصادر الأحداث التي كانت تعيشها الجزائر بالإضافة إلى كتاب أوجين فايست في كتابه " تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي (1792- 1893م) ، نذكر كذلك كتاب فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة و إستيلائهم على أوطانها لمحمد صالح إبن العنتري وهو مصدر هام يتشابه في محتواه مع كتاب تاريخ قسنطينة للحاج أحمد بن أمبارك بن العطار و هناك أنواع أخرى من المصادر التي أفادت البحث في بعض جوانبه وهي المصادر

المغربية التي ذكرت روايات مختلفة قليلا فيما يخص الدرقاوي ومن بينها كتاب " الإستقصاء" للناصري الذي تحدث عن ثورة ابن الشريف ودور المغرب الأقصى فيها.

- أما فيما يخص المراجع المعتمدة في الدراسة نذكر دراسات ناصر الدين سعيدوني المختصة في تاريخ الجزائر في العهد العثماني المعنونة بـ " ورقات جزائرية" إضافة إلى كتابه " الجزائر خلال العهد العثماني" و كتابه "النظام المالي في الجزائر خلال العهد العثماني" فهي تعد من البحوث و الدراسات التي استفدنا منها كثيرا في بحثنا في مختلف جوانبه.

كما يمكن الإشارة إلى كتاب تاريخ الجزائر الثقافي لأبي القاسم سعدالله.

الصعوبات: لقد واجهتنا العديد من الصعوبات في دراستنا لهذا الموضوع نذكر منها :

- تناقل مصادر المعلومات بعضها عن بعض، هذا ما جعلنا لا نستطيع ذكرها بدقة خاصة ما يخص ثورة عبد القادر ابن الشريف فعلى سبيل المثال نجد أغلب ما نقله المزاري في طلوع سعد السعود منقول عن الزياني في كتاب دليل الحيران وأنيس السهران، قد شابه المادة العلمية ما صعب علينا التحصيل الكمي للموضوع،
- ومن الصعوبات كذلك عناء التنقل للبحث عن المادة العلمية وافتقار بلدتنا للفضاءات المكتبية.
- رغم الجهد والوقت الكبير الذي تطلبه منا اعداد هذه الدراسة، وإتمامه بهذا الشكل، فان هذا العمل لا يخلو من النقص , وفي ختام هذه المقدمة، نرجوا أن نكون قد وفقنا ولو بشكل قليل في مجال البحث العلمي.

مدخل

تنسب الطريقة الدرقاوية إلى العربي بن أحمد ابن الحسن البوبريجي الدرقاوي، و هي طريقة دينية صوفية تفرعت عن الطريقة الشاذلية[1]، المنسوبة إلى أبي الحسن الشاذلي المتوفى سنة 656هـ – 1258م حيث أراد المولى العربي الدرقاوي بتأسيس هذه الطريقة لبعث الحياة في التصوف الشاذلي، و بفضل النسب الشريف لمؤسسها إستطاعت الطريقة الدرقاوية أن تصبح في ظرف عقد أو عقدين من الزمن إحدى أهم الطرق الصوفية في المغرب الأقصى و حتى في الجزائر وذلك لأنها طريقة صوفية كما يقول محمد بن جعفر الكتاني الحساني مبنية على كسر النفس و إسقاط التدبير و الإختيار[2].

ويرجع أصل التسمية إلى الدرقة و هي الترس الذي يحمله المقاتل في ذراعه اليسرى، وهو يقاتل بالسيف أو الحربة، وكان الذي اشتهر بأبي درقة الجد الثامن عشر المؤسس للطريقة و هو محمد دفين واد قبال بقبيلة بني مسكين قرب أم الربيع، و المعروف في مجال التصوف و قد كان له من الأولاد أربعة وهم: محمد ، أحمد، يحي، عبدالله و من هذا الأخير الذي استوطنت ذريته أرض السوس قبل قدومه إلى قرية بني عبد الله ببني زروال؛ حيث كانوا يعرفون باسم السوالين، و فيهم ولد الشيخ العربي سنة 1159م و هو المؤسس للطريقة، إن لم نقل المجدد لها، ذلك هو أصل التسمية[3].

[1] يعود تأسيسها إلى أبي الجنيد الذي تأثر به الشيخ أبي مدين شعيب الاندلسي تتلمذ على يد الشيخ عبدالسلام ابن مشيش، و يعود مصدر الطريقة الشاذلية إلى علماء تأثر بهم أبو الحسن علي الشاذلي (593هـ- 1193م) و تنسب إليه. إنتشرت هذه الطريقة في شمال إفريقيا

[2] مختار بونقاب ،الطريقة الدرقاوية في الجزائرالحضور ولأثر،الحوار المتوسطي.جامعة معسكر،العدد11، 12مارس2016،ص388

[3] عبد الكريم الفيلالي، التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير،ج5، ط1، شركة ناس للطباعة، القاهرة 2006، ص8.

إن أول من دعا إلى المذهب الدرقاوي هو الشريف الإدريسي، المدعو علي بن عبد الرحمان الجمل.

1. **التعريف بشخصية علي بن عبدالرحمان الجمل**[1]: هو أبو الحسن بن عبد الرحمان الجمل الفاسي، من جماعة العمرانيين الذين استوطنوا في الشمال الغربي من مدينة فاس المغربية، و هو من أشهر الفقهاء الذين عملوا حسب تعاليم القرآن، و العقيدة الصوفية الشاذلية[2].

فلقد كان علي بن عبد الرحمان ضمن دائرة السلطان المعروف بمحمد ولد عربية، وهو ولد المولى إسماعيل، الذي بيع من طرف أهل فاس ضد أخيه عبد الله يوم 15 جمادي الأولى 1150هـ الموافق ل 1737م، و كان الذي أغروه- لما أقدم عليه- هم أولاد الشامي، إلا أنه انتهى ومعه عامله على فاس؛ حيث هزم أخيه عبد الله، ثم قيده بالأغلال ووضعه تحت الحراسة يوم 14 صفر 1151هـ الموافق لـ 1738م، وقتها فر علي بن عبد الرحمان الجمل من المغرب، متوجها شرقاً، حيث مر بتلمسان و الجزائر وقسنطينة وبجاية و غيرها من المدن، التي تعرف فيها على كثير من رجالات العلم و التصوف، في كل من ضريح بومدين بتلمسان و عبد الرحمان الثعالبي و غيرهما، إلا أنه حط الرحال في تونس، و بقي فيها سنتين ، ثم قرر الرجوع إلى موطنه فاس التي وجد فيها ضالته بالقرب من شيخ الجماعة صاحب كتاب "مبادئ التصوف و هوادي التعرف"؛ حيث لمس

[1] لقب بالجمل لصبره في العبادة توفي سنة 1193ه ، 1779م وهو من العمرانين القاطنين بقبيلة بني حسن حيث قدمت هده القبيلة من صعيد مصر

[2] مختار بونقاب، المرجع السابق،،ص372

فيه الرغبة الملحة نحو التصوف، ووجهه إلى طائفة العربي بن عبد الله بن معن الأندلسي لما انطوت عليه من اهتمام بالمذهب الشاذلي.

كان الجمل الحسناوي العمراني الإدريسي، قبل أن يسلم الأمانة إلى من بعده من التلاميذ الذين كان في مقدمتهم العربي الزروالي، قد ألح عليهم كثيرا في عدم الإقبال على ذوي السلطان و البعد عنهم، موجها إياهم نحو التمسك بالدين و الإقبال عليه[1].

2. **التعريف بشخصية العربي:** هو من سلالة الأدارسة الحسنيين، ولد في بني زروال 1150هـ الموافق لـ 1737م من أسرة شريفة من قبيلة بني زروال التي نشأ بها، اهتم بالقراءة فحفظ القرآن و أتقنه، ثم اشتغل بالعلم، فتتلمذ على يد أبي الحسن علي الجمل الذي أخذ عنه علم الباطن، بعدما كان قد تحصل على علم الظاهر[2].

عمل الشيخ العربي مدرساً بمدينة فاس؛ حيث قام بتأسيس زاوية له ببوبريج من بني زروال بضواحي مراكش[3]، و قد اشتهر بالاستقامة و الزهد في متاع الدنيا و احتقار السلطان، (الوظائف) ، وذلك ما أوصاه به شيخه السابق الذكر، كما كانت أعماله مطابقة لمبادئه و بمجرد أن تسلم السلطة الروحية، أخذ بجمع أتباعه و مريديه في طريقة جديدة وضع لها نظمها وقواعدها الخاصة، فانطلق بنشر دعوته الدينية المستمدة من تعاليم الشاذلية، فحقق نجاحا كبيرً ؛ حيث ازداد أتباعه بسرعة في جميع المناطق المغربية، و

[1] بونقاب مختار ، المرجع السابق، ص372
[2] عبد الكريم الفيلالي، المرجع السابق، ص11
[3] صلاح مؤيد العقبي ، الطرق الصوفية و الزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها ج1، دار البوارق لبنان، 2002،ص230

خاصة في شمال المغرب الأقصى، والمناطق الغربية من الجزائر، كوهران و مستغانم و تلمسان و تيارت[1].

امتاز مولاي العربي بأخلاقه الفاضلة، و مخالفة النفس و الهوى، و استطاع الجمع بين الشريعة و الحقيقة، و بين العلم و التربية، فاعتبر من أكابر الشيوخ الذين أعطوا للشاذلية دفعا قويا و جديدا.

و كان العربي الدرقاوي يمشي مرتكزا على عصا، تقليدا لسيدنا موسى عليه السلام ويلبس المرقع تقليدا لسيدنا أبي بكر و سيدنا عمر رضي الله عنهما، ويحمل السبحة حول عنقه تقليدا لأبي هريرة رضي الله عنه، و يعيش حياة العزلة تقليدا لسيدنا عيسى عليه السلام، توفي سنة 1239هـ الموافق لـ 1893م، و دفن بزاويته في جبل بوبريج بعد أن نشر مبادئ الطريقة و تعاليمها، مُخلفاً عددا كبيراً من الشيوخ و المربين، ولذلك لقب بقطب الدائرة[2].

و تتمثل أصول هذه الطريقة :

الإجتهاد في اتباع الكتاب و السنة و التخلق بمكارم الأخلاق بالإضافة إلى العمل و المجاهدة على تهذيب النفوس و العمل على إحياء القلوب القائمان على التسليم و التجريد

[1] مختار الطاهر الفيلالي، نشأة المرابطين و الطرق الصوفية و أثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني ، دار الفن الغرافكي للطباعة و النشر، باتنة ، ص53

[2] مختار بونقاب، المرجع السابق، ص373

و الذكر بالتهليل و الإستغفار و بالصلاة و السلام على النبي صلى الله عليه و سلم بالمذاكرة[1].

انتشرت الدرقاوية بالجزائر، خاصة في الإقليم الغربي عن طريق بعض المقدمين و الأتباع الذين كونوا زوايا تابعة للزاوية الأم، أو زوايا منفصلة عنها، وكان مولاي العربي الدرقاوي في حياته حريصا على تزويدهم بقواعد الملوك، من خلال رسائله، و لعل من أسباب سرعة انتشارها: الاعتماد على الريف كمجال لنشر تعاليمها و أفكارها، مستغلة بعده عن الحكم المركزي من جهة، و المستوى العقلي لسكان الريف من جهة أخرى[2]، كما أن إجهاد الحكم العثماني للشعب و إرهاقه بالضرائب، أدّى إلى سخطه عليه و بدأ يبحث عن قوة جديدة تحميه و يلتف حولها، فوجد ذلك في الطريقة الدرقاوية، و مما ساعد على انتشارها أيضا، النسب الشريف لصاحب الطريقة، مما جعل الناس يتسابقون إلى الانتماء إليها، واتباع تعاليمها، إضافة إلى اعتماد مريدي هذه الطريقة وشيوخها على وسيلة الإغراء من الكرامات والغفران، لكل من تبعهم والتي أثرت على عقول البسطاء من الناس وجعلتهم يتقبلونها بسرعة و بكل ثقة و إيمان قوي، و يدافعون عنها ولذلك حققت هذه الطريقة التوسع و الانتشار[3].

[1] محمد المنصور، المغرب قبل الإستعمار المجتمع و الدولة و الدين (1792- 1822)، ترجمة محمد حيدة، ط1، المركز الثقافي للمغرب ، 2006، ص 288.
[2] مختار بونقاب ،المرجع نفسه، ص ص 373،374 .
[3] مختار الطاهر الفيلالي، المرجع السابق، ص ص 59- 60
.

ومن الذين عملوا على نشرها بجهات الغرب الجزائري، أبو المواهب الشيخ محمد بن قدور الوكيلي الشريف الحسني، و الذي كان من موريدي الشيخ الهبري، المتوفى سنة 1317هـ، وكذلك الشيخ الصالح بن محمد الحبيب البوزيدي الشريف المستغانمي، المعروف بسيدي حمو، الذي أخذ عنه الشيخ أحمد بن مصطفى العلوي.

وقد ظهرت الطريقة الدرقاوية في مدينة تلمسان في أواخر القرن 19، تحت اسم الهبرية وذلك بواسطة الشيخ الدكالي، الذي استقر به المقام بتلمسان؛ حيث درس بها و كانت له اتصالات برجالاتها، كالشيخ الجليل محمد بن يلس، و لقد أخذ هذا الأخير الطريقة الدرقاوية[1]عن شيخه الدكالي[2].

[1]الطريقة الدرقاوية مصادر و مراجع تجمع أخبارها و تؤرخ لمؤسسها ولبعض أصحابه منها كتاب كنز الأسرار في مناقب مولانا العربي الدرقاوي لمحمد بن احمد المعسكري المعروف بأبي زيان كما يوجد كتاب يخص حروب الدرقاويين حتى العثمانيين عنوانه ' درء الشقاوة في حروب درقاوة "لأبي راس الناصري و أيضا كتاب حسام المشرقي لأبي حامد المشرقي

[2] صلاح مؤيد العقبي المرجع السابق ، ص ص 232-233.

الفصل الأول

الظروف والأوضاع العامة لبايليك الشرق والغرب

المبحث الأول : الظروف الخارجية

المبحث الثاني: الظروف الداخلية

إنه من الأفضل أن قبل أن نتطرق إلى ثورتي درقاوة في الجزائر، يستحسن أن نلقي الضوء على الأوضاع السائدة في الجزائر أواخر العهد العثماني، ذلك أن الولوج إلى صلب الموضوع يجعل القارئ لا يفهم أبعاد هذه الثورة الحقيقية، كما أن التعرف على ماكان سائد في هذه الفترة من سياسة الدولة المتبعة و إقتصادها القائم على الضرائب ووضع مجتمعها، و مختلف نظم البلاد الإدارية يجعلنا نفهم الأسباب الحقيقية وراء نشوب هذه الثورة.

المبحث الأول:الظروف الخارجية

اندلعت ثورتي ابن الأحرش و عبدالقادر بن الشريف في ظروف دولية يمكن ايجازها في مايلي:

أولا: الخطر الذي بات يهدد حدود الإيالة الشرقية و الغربية حيث صار تدخل المغاربة و التونسيين يأخذ شكل مساعدة مادية و معنوية للزعماء المحليين الناقميين بإعتبارهم حلفاء تقليديين لبايات تونس و ملوك المغرب ومن الواضح أن هذ التدخل من الدولتين المجاورتين كان أمرا متوقعا لأن الجزائريين أنفسهم كانوا يتدخلون بدورهم في شؤون جيرانهم في الأوقات المناسبة وخاصة في شؤون الإيالة التونسية ففي سنة 1735 تمكن الجزائريون من تنصيب حليفهم علي باشا بايا على تونس و قد استغل حسن باي قسنطينة هذه الحادثة فبادر بحمل خزائن علي باشا إلى قسنطينة وعمد إلى جمع الأموال الطائلة بطرق تعسفية غير شريفة مثل مصادرة حلي النساء، كما أن الجزائريين مدو يد العون إلى أبناء حسين باي سنة 1756 وفرضوا إتاوة مالية على الحكومة التونسية[1]، وهكذا كان الجو مهيئا لتجدد النزاع التونسي الجزائري في مستهل القرن التاسع عشر فقد عمل حمودة باشا الحسيني باي تونس (1756-1814م) على تحريض ابن الأحرش على الثورة لما ألتقاه عندما كان راجعا من مصر حيث قام بإكرامه و حرضه ضد السلطة العثمانية، فقبل

[1] ناصر الدين سعيدوني النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792-1830) ، ط3، البصائر الجديدة للنشر و التوزيع ،2012،ص58

ابن الأحرش العرض و يؤكد محمد الأمير في تحفة الزائر ذلك حيث يقول " فعندما كان ابن الأحرش راجعا من مصر ولقيه حمودة باشا قام هذا الأخير بإكرام منزلته و فاوضه في القيام على حكومة الجزائر ووعده بالمظاهرة بالمال والرجال فإستكان له ابن الأحرش"[1].

أما من الناحية الغربية لايمكن استبعاد دور سلاطين المغرب في إضعاف شوكة العثمانيين في الجزائر الذي كان حلم المغاربة الدائم منذ سقوط الدولة الموحدية حيث نجد أن السلطان المغربي مولاي سليمان دعم أتباع الطريقة الدرقاوية للوقوف ضد الحكام العثمانيون في الجزائر. فالمغاربة كانوا يرفضون منذ البداية التواجد العثماني على الشمال الإفريقي ورفضوا سيادتهم للعالم الإسلامي عامة، و حاولوا ضم الجزائر و تونس تحت رايتهم فقناعة المغاربة بشرعيتهم في الحكم في منطقة المغرب بدلا عن العثمانيين نظرا لنسبهم الشريف جعلهم يستغلون المساندة الشعبية لهم بالجزائر، لذا اعتمدوا على الطرق الصوفية التي كانت تنشط بالجزائر و التي كانت على اتصال بالطرق الأم بالمغرب والتي كانت تنشر سياسة سلاطين المغرب الرامية إلى استمالة العائلات الكبرى بالجزائر[2].

ثانيا: الحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابوليون بونابرت سنة1213هـ _ 1798م ووقوف المغاربة ضدها على رأسهم ابن الأحرش الذي شارك في مقاومتها إلى جانب الجيش المصري فأظهر شجاعة و بلاء الشيء الذي أكسبه شهرة[3] واسعة مما لفت إليه نظر الإنكليز الذين كانوا ينافسون الفرنسيين في كل شبر من البقاع المستعمرة، ووقع اختيارهم على ابن الأحرش و شجعوه ليعلن الثورة على الأتراك في الجزائر حلفاء الفرنسيين[4].

[1] محمد الأمير بن عبدالقادر، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و الأمير عبدالقادر، ج1، المطبعة التجارية غرزوزي و جاوبيش، الإسكندرية،1903، ص77.

[2] أحمد مرويش، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني ، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر1954، دار القصبة للنشر ،طبعة خاصة ، وزارة المجاهدين ،2007، ص123.

[3] صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، ط1، الألمعية للنشر و التوزيع ، قسنطينة ،2013، ص304.

[4] أحمد الشريف الأطرش السنوسي، تاريخ الجزائر في خمسة قرون، ج1، دار البصائر للنشر و التوزيع، الجزائر، 2013، ص 278.

ثالثا: الإمتيازات التي كانت تحظى بها فرنسا في الشرق الجزائري و كان الغرض منها في بداية الأمر السماح للتجار الفرنسيين بإستغلال نقطة واحدة من ساحل البلاد لصيد المرجان ووقع الإختيار على ما يسمى في ذلك الوقت بحصن فرنسا على بعد كيلومترات فقط من مدينة القالة، و على مر السنين صار الفرنسيون يعتبرون بعض هذه المؤسسات مثل القالة و عنابة كملك لهم لا يحق للجزائريين أن يتدخلوا في شؤونها ولا أن يدخلوها إلا نهارا و بإذن وفي سنة 1741م سلمت الحكومة الفرنسية كل الإمتيازات إلى هيئة جديدة تسمى الشركة الملكية الإفريقية وصار نشاط المؤسسات لا يقتصر على صيد المرجان فقط و أنما اتسع إلى تجارة الحبوب و الجلود والشموع و الصوف إلى غير ذلك مما تنتجه الإيالة[1].

رابعا: التنافس الشديد الذي كان قائما بين الدول الأوربية و في طليعتها انكلترا وفرنسا على اكتساب مناطق النفوذ و نيل المزيد من الإمتيازات في الولايات العثمانية ، ومن جملتها إيالة تونس وطرابلس الغرب التي أصبحت ميدان صراع حاد اتخذ أبعادا دولية بعد ان نجح الإنكليز في اخراج الفرنسيين من مصر سنة 1801م و انتهاجهم سياسة الضغط على الباب العالي ليتخذ موقفا عدائيا من أحداث الثورة الفرنسية و طموحات نابوليون ففي الوقت الذي حاول فيه الإنكليز محاصرة فرنسا، و التضييق عليها في فترة الحروب النابليونية كانت الإيالة الجزائرية على علاقة وطيدة بفرنسا، التي تمكنت في عهد الداي بابا حسان (1792- 1798) من نيل القروض و الحصول على شحنات ضخمة من الحبوب كانت المناطق الجنوبية من فرنسا في أشد الحاجة إليها[2]، وحسب الأستاذ العربي الزبيري فإن بريطانيا هي التي شجعت ابن الأحرش على الثورة لأنها كانت تغبط فرنسا على الإمتيازات التي تحظى بها في الشرق الجزائري[3].

[1] محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر، ص ص 39-40.
[2] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار البصائر،2009، ص284.
[3] محمد العربي زبيري ، المرجع السابق، ص29.

المبحث الثاني: الظروف و الأوضاع الداخلية

قبل التطرق للأوضاع و الظروف العامة في المنطقة نحاول اعطاء لمحة مختصرة عن الموقع الجغرافي لبايلك الشرق و الغرب .

أ. بايلك الشرق : يشمل الرقعة الجغرافية التي تمتد من البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى ماوراء بسكرة وواد سوف في حوض ريغ جنوبا ومن الحدود التونسية شرقا إلى ماوراء إقليم و نوغة و برج حمزة (البويرة) غربا و يحتوي هذا الإقليم على جبال البيبان و حوض وادي الصومام و جبال البابور و قسنطينة و عنابة و سوق أهراس و جبال الزاب و الزيبان وواحات وادي سوف في حوض واد ريغ وواحات الصحراء الشمالية الشرقية و على رأسها: بسكرة و تقرت وورقلة بل وحتي واحات ميزاب بوادي الشبكة[1]وعاصمته قسنطينة.

ب. بايلك الغرب : أسس سنة 970هـ الموافق لـ 1563م[2]، كان يتولاه في بداية الأمر بايان اثنان واحد يستقر بمدينة مازونة و الأخر بمدينة تلمسان وهذا يعني أن البايلك قسم إلى قسمين و في عام 1706 وحد القسمان وأصبح يعين عليهما باي واحد جعلت قاعدة حكمه قلعة بني راشد ثم مدينة مستغانم و أخير مدينة وهران بعد تحريرها الثاني من التواجد الإسباني عام 1792م[3].

أولا: الظروف و الا وضاع السياسية: شهدت الإيالة الجزائرية في الفترة الأخيرة من العهد العثماني تحولا خطيرا شمل جميع المجالات رغم المحاولات التي قام بها الدايات أمثال الداي محمد بن عثمان باشا لإصلاح البلاد إلا أن نتائجها كانت محدودة و يرجع التدهور العام الذي شهدته الإيالة إلى مجموعة من التراكمات اجتمعت فيها العوامل الداخلية و الخارجية[4].

---

[1] محمد الصالح بن العنتري فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة و استيلائهم على أوطانها ، تحقيق يحي بوعزيز، دار هومة للنشر و التوزيع ، الجزائر 2007 ، ص25.

[2] محمد بن ميمون الجزائري التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق محمد بن عبدالكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر 1981، ص36.

[3] يحي بوعزيز مدينة وهران عبر التاريخ ، ط2، دار زمور للنشر و التوزيع الجزائر،2015، ص46.

[4] مبارك شودار ، لنحة عن الأوضاع السياسية في الجزائر أواخر العهد العثماني، مجلة العلوم الإسلامية و الحضارة، مركز البحث في العلوم الإسلامية و الحضارة الاغواط، العدد الرابع ، ديسمبر 2016، ص225.

اتفقت الدراسات التاريخية أن مطلع القرن التاسع عشر كان عهد فوضى و إضطراب بالنسبة للإيالة الجزائرية و التي كان من أبرز نتائجه إغتيال ستة دايات في الفترة الممتدة مابين 1798 و 1818 وهو ما يعطي فكرة عن تعفن الوضع السياسي للإيالة الجزائرية حيث أصبح منصب الداي منبع الرعب و الخطر[1]، و تعفن الوضع السياسي يفسره تحكم الطبقة العسكرية و إحتكارها للسلطة وتناحرها عن الحكم و السيطرة و جعلت الشعب على الهامش يتفرج عن الأحداث و الإغتيالات المتكررة في صفوف الدايات و الجنود الأتراك وقد انجر عن هذا فشو الفتن و الإضطرابات الأهلية خاصة بين السكان[2]، وقد وصف حمدان خوجة الذي عاصر الفترة الأخيرة من العهد العثماني الجيش الإنكشاري بقوله " صارت تلك المليشيات المسلحة التي لا مبدأ لها ترتكب المخالفات ضد البدو و القبائل ثم قام هؤلاء البؤساء بإشعال الثورات و قلب قادة الدولة حسب هواهم"[3]، كما إنعكست هذه الأوضاع على تفكير الدايات حيث أصبحوا لا يفكرون في أمور البلاد بل همهم الوحيد هو جمع المال لأنهم كانوا يعلمون أن مدة حكمهم لا تطول ، و في هذا الصدد يقول الزياني في الباي عثمان " لم يلتفت لما كلفه الله في أمور الرعية بل جعل ذلك نسيا منسيا"[4].

أما بخصوص بايلك الشرق بعد وفاة صالح باي سنة 1792 ترك الجنوب الشرقي في فوضى لا مثيل لها نتيجة التطاحن بين أسرتي ابن قانة و بوعكاز وأنصارهما على الحكم من جهة و تصارع أسرتي ابن قانة و ابن جلاب على ولاية تقرت من جهة أخرى، منطقة تقرت التي كانت تحت رئاسة الشيخ ابراهيم بن جلاب الذي فر بسبب الضغوط و ترك الرئاسة لإبراهيم بن حاج بنقانة و هكذا كان بايلك الشرق يعيش في جو من الفوضى و

[1] يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج2،ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، 2009، ص48.
[2] حمدان بن عثمان خوجة، المرآة ، تحقيق محمد العربي الزبيري، ص111.
[3] مبارك شودار، المرجع السابق، ص228.
[4] محمد بن يوسف الزياني، دليل الجيران و أنين السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق المهدي البوعبدلي طبعة خاصة، دار المعرفةالدولية للنشر و التوزيع الجزائر،2013 ، ص 270.

الإضطرابات نتيجة الصراع على الحكم من أجل التمكين و كسب الثروات و كانت القبائل تتناحر و تتمرد لأتفه الأسباب[1].

ومن جملة التمردات و الإضطرابات نذكر ثورة الحنانشة و ظهور الخيانات كخيانة ابن باي انجليزي سنة 1806 وكان رد فعل الأتراك هو الإنتقام من الشعب وفي فترة صالح باي المتميزة بالهدوء شهدت كذلك ثورات مثل ثورة الزواوة وثورة محمد الغراب[2].

ثانيا الظروف و الأوضاع الإجتماعية و الإقتصادية:

لقد كانت السياسة الضريبية القاسية التي فرضت القوة على الفلاحين أثرها الكبير في تخمر الثورة و ازدياد التذمر بعد ضعف موارد البحر و انخفاض الصادرات التي كانت الدولة تدفعها للخارج و من ثم أصبحت خزينة الدولة و سياسة الدايات في أمس الحاجة لتغطية العجز وبذلك مطالبة البايات بتنويع الموارد الإقتصادية الذي دفع بالضرورة إلى تكثيف الحملات العسكرية على القبائل لجباية الضرائب و جمع الأموال[3]، وهذا ماجعل السكان في حالة الإستعداد لكل حركة عصيان وتمرد ضد السلطة المركزية و الإقليمية[4].

كما عرفت الجزائر العديد من الأمراض و الأوبئة أصابت سكانها وأحدثت خسائر تكاد تكون خيالية من كثرة هولها و ارتفاع عدد الضحايا و إذا أردنا أن نذكر المرات التي ظهر فيها الطاعون في الفترة التي ندرسها نذكر على سبيل المثال لا الحصر وباء عام 1793 و هو طاعون أصاب مدينة الجزائر، نقله إليها بحارة قدموا من القسطنطينة و أمتدت براثنه إلى جهات أخرى من جملتها مقاطعة قسنطينة وقد كتب السيد كيبار مندوب الشركة الملكية الإفريقية في عنابة في ذلك الحين أن حوالي مائة شخص كانت تموت في عاصمة الشرق الجزائري[5]، و مما زاد مصاعب الجزائر الداخلية في هذه الفترة حدوث

[1] محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص ص 32-33.
[2] رياض بولحبال، اخبار بلد قسنطينة وحكامها لمؤلف مجهول (دراسة و تحقيق)، جامعة منتوري قسنطينة، قسم التاريخ و علم الآثار، السنة الجامعية 2009-2010، ص 25.
[3] أحمد مريوش، المرجع السابق، ص123.
[4] ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792- 1830)، المرجع السابق، ص53.
[5] محمد العربي الزبيري ، المرجع السابق، ص51.

زلازل مخربة سنة 1717 و 1755 إضافة إلى تعرض البلاد لمجاعات مهلكة لسنوات متلاحقة ففي سنة 1800 حدثت مجاعة بالبلاد اختفت فيها الأقوات من الأسواق حتى إضطر الداي مصطفى باشا إلى استيراد القمح من موانىء البحر الأسود و تشديد حراسة الجنود على مخازن الحبوب[1] وفي هذا الصدد يقول ابن العنتري " وقعت مجاعة شديدة و قحط مهول سنة 1219هـ، أضرا بأهل بلد قسنطينة ووطنها و دام الحال كذلك ثلاث سنوات متتالية". وسبب هذه المجاعة مرض أصاب الزرع فأفسده ثم جاء الجراد فأتم مابقي بالإضافة إلى الإضطرابات الناتجة عن الحروب المتتالية، وإنعدام الأمن الذي لم يشجع الناس عن الحراثة و لا على الإهتمام بالأرض يقول ابن العنتري " أن سبب القحط مركب من أمرين: أحدهما نزول الجائحة في السنوات الأولى و بقيت مستمرة في سنين بعدها و الثاني وهو أعظمها، ترادف الأفتان و الأهوال التي لا تطمئن نفوس الناس للحراثة معها[2]".

ومما يميز الوضع الإقتصادي في نهاية العهد العثماني هو تمكن اليهود من التجارة الجزائرية[3]، فالبرغم من الإحتقار الذي يكنه السكان لليهود فإن أغلب هؤلاء قد تحصلوا على ثروات ضخمة نتيجة ممارسة السمسرة و الربا و القيام بدور الوساطة في كل العمليات التجارية مهما كانت بسيطة أو تافهة، حتى أصبح العربي في مدينة الجزائر على حد تعبير روزي" لا يستطيع أن يبيع دجاجتين بدون وساطة مأجورة من أحد اليهود" ومن أشهر أغنياء اليهود في أواخر الفترة التركية: ناردوخي دارمون الذي مكنته ثرواته الطائلة من بناء بيعة وهران على نفقته الخاصة و كذلك عائلتا بكري و بوشناق وقد جرت هذه الأعمال و الأساليب التي أشتهر بها اليهود للحصول على الأموال على حساب

[1] ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر لعهد العثماني (1792-1830)، المرجع السابق ، ص53
[2] محمد العربي الزبيري المرجع السابق،ص55.
[3] رابح بونار، المغرب العربي تاريخه و ثقافته، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع.

الدولة الجزائرية و سكانها غضب الأهالي وسخطهم وتحول سخط الأهالي في بعض الأحيان إلى ثورات إنتقامية[1].

ثالثا: تأزم العلاقة بين السلطة و رجال الطرق الصوفية والزوايا

لقد أفلحت سياسة التقارب بين رجال الطرق الصوفية و الأتراك العثمانيين بالجزائر على المستوى السياسي وذلك بنجاح تيار الدعاية التي قام بها رجال الصوفية حيث تجسد في نظرة الإحترام و التقدير التي بدأ السكان ينظرون بها إلى المنقذين الجدد وهذا مادفع بحمدان خوجة إلى القول " أن العامل الذي يساعد الأتراك على بسط سيادتهم في الجزائر هو إحترامهم لرجال الطرق الصوفية و المرابطين بعدما عرفوا مكانتهم بين الأوساط الإجتماعية فأحاطوهم بالرعاية و مظاهر الإحترام....." ، إلا أن هذه العلاقة لم تستمر خاصة مع مطلع القرن 19م حيث عرفت هذه العلاقة توتر إلى حد المواجهة بين السلطة و الطرق الصوفية و لقد لعبت عدة عوامل في تأزم هذه العلاقة[2].

التطور الذي شهدته الطرق الصوفية ذات المنشأ المغربي في الناحية الغربية من الجزائر ومنها الطريقة الدرقاوية التي عرفت انتشار واسع و استقطاب عدد من العلماء الذين أصبحوا من مريديها فتوسع نطاقها بزيادة الزوايا و المريدين التابعين لها[3]، ونذكر على سبيل المثال الثورة التي تزعمها محمد علي الإدريسي مرابط قرية عين الحوت قرب مدينة تلمسان سنة 1736م، التي استمرت إلى غاية 1759 م و التي جعلت تلمسان جمهورية شبه مستقلة لكن رد فعل الاتراك على هذه الثورة كان عنيفا حيث قام الباي محمد الكبير (1780م-1797 م) من الدخول بجيشه لأراضي المغرب و احتلال مدينة وجدة و أجبر السلطان العلوي مولاي يزيد(1790- 1792 م) من ابرام الصلح مع الباي[4]، ومطالبة

[1] ناصر الدين سعيدوني ، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792-1830)،المرجع السابق،ص44.
[2] حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى الجزائر، 2008، ص27.
[3] زينب جعني، ثورة ابن الأحرش في بايلك الشرق (1800-1807) عصور جديدة، قسنطينة، العدد 18 أوت 1436ه/2015م، ص131.
[4] حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص28.

المرابطين و الطرق الصوفية وشيوخ القبائل التخلي عن جزء من امتيازاتهم و لكنهم رفضو مما جعل السلطة تشن حملات لتأديبهم فتمردوا و حرضوا السكان ضدهم[1].

خلاصة الفصل

هذا ما ميز أوضاع الجزائر في نهاية القرن 18 و بداية القرن 19م من العهد العثماني فالوضع السياسي اتسم بحالة عدم الإستقرار نتيجة إنتشار الفوضى و كثرة الصراعات على السلطة و توتر العلاقات الخارجية للجزائر ،أما الجانب الإقتصادي أخذ في التقهقر و الضعف، بعد تراجع مداخيل الخزينة جراء تناقص الغزو البحري مع انتشار المجاعات و الأوبئة التي أثرت على الحياة الإقتصادية مما أدى إلى ركود التجارة و الصناعة و أهملت الفلاحة كما أن محاولة العثمانيين إخضاع أصحاب الطرق الصوفية لنفوذهم أدى إلى حدوث نوع من القطيعة بين الطرفين .

[1] زينب جعني، المرجع السابق، ص132.

الفصل الثاني

ثورة ابن الأحرش في بايلك الشرق

المبحث الأول: ابن الأحرش و أسباب ثورته

المبحث الثاني : مراحل ثورة ابن الأحرش

المبحث الثالث: نتائجها

أمام الأوضاع المتأزمة التي مرت بها إيالة الجزائر من مجاعة و أوبئة و تقهقر الإقتصاد عملت الزوايا على مواجهة الأوبئة و أستغل القائمون عليها الظروف و تنصبوا كما يلي الراية الشرعية، فالطريقة الدرقاوية التي كانت ممثلة في بايلك الشرق في شخص ابن الأحرش، و الذي استطاع إن يشكل لنفسه منطقة نفوذ واسعة حيث استطاع أن يشكل خطر يهدد الوجود العثماني في الإيالة.

المبحث الأول: ابن الأحرش و أسباب ثورته

التعريف بابن الأحرش : هو محمد بن عبدالله بن الأحرش، الذي اشتهر لدى العامة بالبودالي، نسبة إلى أبدال الصالحين[1]، فقد ذكر عنه محمد بن يوسف الزياني في دليل الحيران و أنيس السهران، بأنه فتى مغربي مالكي مذهباً، درقاوي الطريقة، درعي نسبا[2]، وأشار إليه حمدان بن عثمان خوجة في المرآة، بأنه رجل مغربي كان يزعم أنه من شرفاء ملوك فاس[3]، وقال عنه الشيخ مبارك في تاريخ حاضرة قسنطينة، بأنه رجل مغربي يزعم أنه من شرفاء فاس، بينما اكتفى العنتري بقوله: "بأنه رجل يدعي الشرف"[4]، غير أن هذه النسبة لا شيء يثبتها.

إن النسبة إلى المغرب لا يعني قطعا أنه من تلك البلاد ، فقد جرت العادة في الفترة الإسلامية و حتى أوائل عهد الاحتلال الفرنسي، أن كل غريب يدعي النسب الشريف و يدعوا إلى طريقة سلفية، وذلك حتى يكسب لنفسه مكانة في أعين العامة، و يسبغ على حركته نوعا من المهابة، ويبعد عن نفسه الانتماء الجهوي، أو الانتساب القبلي، الذي يتسبب في حدوث المنافسات و العداوة بين القبائل المختلفة[5].

ويقال أن ابن الأحرش رجل في مقتبل العمر، طويل القامة، أشقر اللحية، موفور الصحة، يتصف بالحيلة و الطموح و المكر، و يشتهر ببلاغة أسلوبه في الحديث و

[1] زينب جعني ، المرجع السابق،ص130
[2] الزياني ، المصدر السابق، ص207.
[3] حمدان بن عثمان خوجة ، المصدر السابق، ص132
[4] ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ،ط2، البصائر للنشر و التوزيع ،2013، ص304.
[5] صالح عباد، المرجع السابق، ص304.

فصاحة لسانه في مخاطبة الناس ، ويتميز عن غيره بسعة أفقه و شجاعته و قدرته على الإقناع[1]، وقد سار إلى الحج و عند عودته مر بمصر التي تعرضت للحملة الفرنسية، بقيادة نابليون بونابرت سنة 1798م آنذاك ، فأبلى بلاءً حسنا؛ حيث كان على رأس جيش المغاربة المقاوم للفرنسيين مع إخوانهم المصريين ، فكسب شهرة كبيرة و بعد انسحاب الفرنسيين من مصر، رجع مع جماعة من الحجاج، فنزل تونس ثم إلى قسنطينة التي مكث فيها، و منها توجه إلى جيجل[2].

وحسب محمد بن يوسف الزياني، أن أهم ما ميز ابن الأحرش، أنه كان صاحب شعوذة و حيل، ما جعل الناس يتبعونه و يناصرونه لما شاهدوا عنده من علوم خارقة، ظنا منهم أن ذلك من الأسرار الإلهية[3].

و يذكر المزاري أنه عندما جاء ابن الأحرش إلى تلك القبائل، ادّعى أنه الإمام المهدي المنتظر، و كان صاحب شعوذة و خنقطرة و حيل و خبر، يبدل بها الأشياء للشيء الذي يريده فوراً، كاستحالة البعر زبيبا، و تقطير السيف دما، و الحجارة درهماً، و الروث تمراً، فرأت الناس منه العجائب و أظهر لهم الأمور و الغرائب، التي هي قلب العين لا حقيقة لها، فنصروه و عقدوا له البيعة حزبا حزبا، و جندوا معه، و أمره كله كذبا، واتبعوه في المصادر، و امتنعوا له في النواهي و الأوامر[4].

و أورد العنتري أنه كان يزعم أنه صاحب الوقت، و أن دعوته مستجابة، و النصر يتبعه حيثما يتوجه، و بارود عدوه لايضر و لايصيب أتباعه، بل يرجع إليهم ماء[5].

2.أسباب ثورة ابن الأحرش

يمكن حصر الأسباب التي أدت إلى قيام ابن الأحرش بالثورة ضد السلطة العثمانية في بايلك الشرق إلى مايلي:

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية ، المرجع السابق، ص266.
[2] زينب جعني، المرجع السابق، ص130.
[3] الزياني، المصدر السابق، ص292
[4] المزاري ، المصدر السابق، ص299.
[5] جمال قنان ، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500-1830)، طبعة خاصة، دار هومة ،2007،ص338

- السياسة المجحفة التي انتهجها بعض الحكام؛ حيث تميزوا بالاستبداد و القتل و التدمير، و تبذير الأموال، و إشباع الرغبات و الاهتمام بالمصالح الخاصة، و إهمال شؤون الرعايا، و عن هذا يقول العنتري: " الأتراك في بادئ أمرهم عدلوا بين الناس و لم يظلموا أحدا، وحيث تمكنوا صاروا يظلمون الناس، و يسفكون دمائهم، يأخذون أموالهم بغير حق، و يعدون و لا يوفون، يؤمنون و يغدرون، لم يزل ظلمهم يزداد حتى تم و جاوز الحد[1]".
- استعداد السكان للثورة، وذلك بسبب التصرفات الجائرة لبعض الحكام، و محاولة البايلك مد نفوذه إلى المناطق التي ظلت ممتنعة عن سلطته[2]، فكانت محلات البايات "القافلات العسكرية " تداهمهم سنويا، إما لتأديب العصاة منهم، الذين يحاولون عدم الاعتراف بالسلطة العليا، أو لجمع الضرائب، أو لتثبيت هيبة الدولة، و كانت تصل تلك المحلات إلى أقصى الجنوب الغربي لبايلك الشرق، وحتى جبال أولاد نايل قرب الجلفة، و إلى ورقلة وتقرت في أعماق الصحراء، مثل ما وقع في عهد البايين أحمد القلي و صالح باي[3] .
- معاناة شيوخ الزوايا و مريدي الطرق للحكام، بعد حرمانهم من الامتيازات و العطايا التي كانوا يحصلون عليها، بل فرضوا على بعضهم المطالب المخزية، مثل المرابط عبد الله محمد الزبوجي مقدم الطريقة الرجمانية في رجاص نواحي ميلة[4].
- العامل الجغرافي و البشري لمنطقة الشمال القسنطيني، لحصانة و صعوبة مسالكها لاسيما الجهات الممتدة داخل البحر، بين القل ووادي الزهور، و المعروفة بسبعة رؤوس، حيث كان السكان يعيشون بطريقة بدائية، ويلتجئون إلى المغارات الطبيعية و المخابئ

[1] العنتري، المصدر السابق، ص130
[2] ناصر الدين سعيدوني،ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص ص 282-283.
[3] علي خنوف، السلطة في الأرياف الشمالية لبايلك الشرق الجزائري (نهاية العهد العثماني و بداية الإحتلال الفرنسي) المتحف الوطني للمجاهد ، 1999، ص43.
[4] صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفنقيين إلى خروج الفرنسيين (814 ق.م -1962) دارالعلوم للنشر و التوزيع، 2002-2003، ص106.

المهيئة في سفوح الجبال المكسوة بالغابات الكثيفة، إضافة إلى الكثافة السكانية بتلك المناطق و تعدد قبائلها، و شدة مراسهم في الحروب، ومن بين هاته القبائل بني فرقان، أولاد عطية، وبني بلعيد و أولاد قاسم و بني مسلم وبني خطاب[1].

- الأزمة الحادة التي مر بها الاقتصاد الجزائري، حيث تضاعف تأثيرها بتوالي سنوات القحط الذي عم مختلف جهات البلاد بسبب الكوارث الطبيعية، و التي أثرت بشكل حاد على الأوضاع المالية، وكذا على القدرة الشرائية للسكان} حيث وصف محمد بن يوسف الزياني الوضع ب "غلاء الأسعار و كثرة الفساد و العوابث و فناء الأعمار[2].
- تبني ابن الأحرش للطريقة الدرقاوية و نشر تعاليمها في الشرق الجزائري، و ازدياد نفوذه وشعبيته، و التفاف السكان حوله إذ رأوا فيه منقذهم .
- ضعف شخصية باي قسنطينة عثمان، الذي حكم من سنة 1803 إلى 1804م، إذ يذكر المزاري في طلوع سعد السعود أنه: "كان غارقا في اللهو و عدم الاكتراث واللامبالات بشؤون الرعية[3].

المبحث الثاني : مراحل ثورة ابن الأحرش

1. مرحلة الإعداد و التحضير :

بعد عودة ابن الأحرش من الحجاز، ذاع صيته واشتهر أمره، بسبب بطولاته ضد نابليون، ثم قفل راجعا إلى بلاد المغرب مع جماعة من الحجاج فنزل في بداية الأمر بتونس، وتعرف على حاكمها حمودة باشا الذي استقبله و أكرم وفادته، و حاول استغلال طموحه و شجاعته، فأوعز له بالثورة على الحكم التركي، ووعده بالعون و المساعدة، حيث يذكر أحمد الشريف الزهار ان حمودة باشا، استدعى في أحد الأيام ابن الأحرش ووسوس له قائلا: إن رجلا مثلك شجاع أو كلام بهذا المعنى، يجب أن يذهب إلى ملك الترك (بالجزائر)، و ينزعه من أيديهم و نحن نمدك بما يخصك، و العرب يتبعونك لكثرة

[1] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية ، المرجع السابق، ص ص 283-284.
[2] الزياني، المصدر السابق، ص292.
[3] زينب جعني، المرجع السابق، ص 133.

ما ظلمهم الأتراك، وكان مقصد حمودة باشا أن يشغلهم عنه لا غير، و أما أخذ الملك من الأتراك، فما كان يظنه واقعا و الله أعلم بحقيقة الأمر[1]

وقد وجد تقبلا من ابن الأحرش الذي يكون قد اتصل كذلك عند مروره بمصر بالإنجليز، الذين كانوا يحاولون دفع باشاوات الجزائر إلى قطع علاقتهم مع فرنسا، ولو بإثارة الفتن و تشجيع الثورات الداخلية .

بعدها تنقل إلى عنابة على ظهر سفينة إنجليزية، ثم تحول إلى قسنطينة، و تعرف عن كثب على الأوضاع السائدة بالشرق الجزائري آنذاك[2]، ثم توجه في ظروف غامضة إلى جيجل؛ حيث توقف بعض الوقت لدي قبيلة بني أحمد، و قدم نفسه كضيف ربي يبحث عن مأوى في جامع الزيتوني ، الذي كان بالقرب من سور مدينة جيجل[3] ومن هناك بدأ يخطط لثورته فاتصل بالقبائل الجبلية التي تقطن المناطق الواقعة ما بين جيجل و القل و ميلة، و لم يلبث أن اكتسب الأنصار و المؤيدين في مختلف قبائل تلك الجهات، وأصبحت كلمته مطاعة عند أهالي الوادي الكبير، و جبال زواغة وضاحية وادي زهور، وكان في طليعة مناصريه في تلك الجهات، أولاد عيدون و بني مسلم و بني خطاب[4].

و مما ساعده على كسب تأييد هذه القبائل لدعوته استقراره في زاوية الزيتون في جيجل حيث أسس معهدا دينيا ببني فرقان، لتعليم العلوم الدينية، و فيه كشف خطته للثورة ضد الحكم العثماني، فعمل على إثارة السكان و استطاع جلب عدد كبير من الأنصار، حيث عملت الحركة الدرقاوية التي تزعمها في الشرق الجزائري، على تحقيق تجانس بين القبائل التي انضمت إليها الواحدة تلوى الأخرى، من أجل التخلص من ثقل العثمانيين في البايلك[5].

[1] الزهار، مذكرات نقيب أشراف الجزائر، تحقيق أحمد توفيق المدني، ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر ، 1980، ص85.
[2] ناصر الدين سعيدوني، تارخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص342.
[3] صالح عباد، المرجع السابق، ص306.
[4] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزئرية، المرجع السابق، ص268.
[5] زينب جعني ، المرجع السابق، ص133

ولما ازدادت شعبيته أخذ يجمع الضرائب، و عين مساعدا له لقبه آغا جيجل و هو من عشيرة بني قايد، يعرف باسم حمزة بن حمادوش، ثم نظم المدفعية ووضع على رأسها أحد الكراغلة، يعرف باسم أحمد بن درنالي، ثم شرع في أعمال القرصنة[1]، عندما نجح في تسليح بعض المراكب بمرسى جيجل و ساحل وادي الزهور، و بدأ يتعقب السفن الأوروبية التي كانت تتردد على سواحل جيجل و القل للصيد و التجارة وقد تمكن بالفعل من وضع يده على سفينة صيد مرجان تابعة للشركة الفرنسية بالقالة فقتل بعض بحارتها و أسر الباقي وعددهم أربعة و ثلاثون شخصا في شهر جوان 1803[2].

ترك ابن الأحرش المدينة تحت قيادة الآغا حمزة بن حمادوش ، وأخذ يجوب قبائل، كانت محطته الأولى جراح في وادي الزهور، أين أمر بإنشاء مجموعة من المساكن و تزوج من فتاة جميلة اسمها "يمينة بنت حوطة"، عنوة لأن والديها رفضا طلبه يدها، و قتل قائد المنطقة محمد الغوشي، الذي حاول أن يؤلب الناس عليه، كان الناس يأتونه في جراح من قسنطينة وعنابة و سطيف وبجاية، خاصة بعد أن أيده المرابطون من أمثال: الزبوشي الرحماني و بن بغريش و مولاي الشقفة، أخطر هؤلاء عبد الله الزبوشي الذي كان يتمتع بالإعفاء من الضرائب، لكن الباي عثمان لجأ إلى إلغاء إعفائه من الضريبة، و لما سار إلى قسنطينة ليحتج على هذا الإجراء المخالف لحق مقدس، لم يستجب له أحد وهو ما جعله يشرع في نشاط مكثف ضد السلطة التركية و لما ظهر ابن الأحرش كتب إليه و إنضم إلى حركته[3]، و الواقع أن ابن الأحرش استطاع الوصول إلى هدفه باستعمال أساليب بسيطة تتوافق و عقلية سكان الريف، فاستطاع توجيهها لخدمة حركته، و اكتسب بذلك أتباع مخلصين له مؤمنين بقدراته حتى ذهب البعض منهم إلى القول بأنه يستطيع تحويل التراب إلى ذهب[4].

[1] صالح عباد، المرجع السابق، ص306.
[2] ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص ص 342-343.
[3] صالح عباد، المرجع السابق، ص ص 306-307.
[4] ناصر الدين سعيدوني،ورقات جزائرية،المر جع السابق، ص282.

وبكسبه الكثير من الأنصار من مختلف الجهات أعلن عن نيته في الاستيلاء على مدينة قسنطينة قائلاً لأتباعه: " أيها المؤمنون الحقيقيون و يا رجال السلاح، اتبعوني فإني سأقودكم إلى قسنطينة و بعد أن نصبح حكام المدينة سنبيد السكان و نستولي على غنائمهم و نقيم بين جدرانهم و ما عليكم إلا أن تسيروا[1] ".

2. مرحلة الهجوم العسكري:

بعد أن عزز ابن الأحرش موقعه العسكري"، وتمكن من جمع الأنصار من مختلف الجهات القاطنة في المنطقة الممتدة من ساحل البحر إلى نواحي قسنطينة، والقادرة على حمل السلاح[2]، أعلن الجهاد للقضاء على سلطة البايلك و تأسيس حكومة تقوم على المبادئ الإسلامية، و كان ذلك في شهر ربيع الأول من عام 1219هـ الموافق ما بين 10 جوان إلى 20 جويلية 1804، حيث أمر أتباعه بمهاجمة الحاميات التركية و الاستيلاء على مراكزها، فخضعت له مدينة القل، و انسحبت الحامية التركية من عنابة عندما علمت باعتزام ابن الأحرش مهاجمتها[3]، بعدها غير وجهته إلى الشرق و بالضبط إلى قسنطينة مركز البايلك مستغلا غياب الباي عثمان[4] في إحدى حملاته لجباية الضرائب بناحية سطيف[5]، كان عدد انصاره يزداد كلما تقدم من هدفه، من بوغيول لدى أولاد بلعفو، إلى بني مسلم، إلى أولاد عيدون إلى ضاحية محمد الغراب بالقرب من مدينة قسنطينة، اشتبك هناك بقوات قسنطينة التي كان يقودها أحمد بن الأبيض، لأن الباي كان غائبا، لما وجدت القوات التركية صعوبة في المقاومة انسحبت إلى المدينة[6].

---

[1] أوجين فايست ، تاريخ بايات قسنطسنة في العهد التركي (1792– 1830)، ترجمة صالح نور، تقديم عبد الرحمان شيبان، الطبعة الاولى، الجزء الثاني، دار طليطلة، الجزائر2013. ص113.

[2] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص269

[3] صالح فركوس، المرجع السابق، ص ص 104-105.

[4] هو ابن محمد الكبير لذي يرجع له الفضل في تحرير وهران من الإحتلال الإسباني 1792 تولى شؤون تسيير بايلك الغرب بعد وفاة أبيه وبعدها عزل و أستدعي إلى مدينة الجزائر فعين بايا على بايلك الشرق وهو كرغلي من أولاد قارة محمد.

[5] جمال قنان، المرجع اسابق، ص 338.

[6] صالح عباد، المرجع السابق، ص308.

وبخصوص حجم الجيش الذي حاصر المدينة، فقد ذكر العنتري أنه كان يبلغ العشرة آلاف محارب، وقدره دونوفو (De neveu) مابين عشرة آلاف و اثني عشر ألف مقاتل، و ذهب (MERCIEA) و فايسيت (VAYSSETTE) و فرامون GRAMON) أنه قد بلغ الستين ألف رجل[1]؛ حين وصل قسنطينة تكلموا مع أناسها قائلين: " اعلموا يا سكان قسنطينة أن الشريف هنا وهو يتقدم نحوكم ، و إننا نمشي من ورائه بكثرة تفوق جماعة النحل، و أشد عنفا من أعنف الجيوش افتحوا أبوابكم و سلموا أنفسكم، ولا يمسكم أذى، و أما النصر حليفنا و الويل كل الويل للمغلوبين[2]"، فأجابوهم أناس البلاد قائلين:" يا معشر القبائل المغترين نحن لا نسلموا في بلادنا ونقاتلوكم حتى نهزموكم أو نموت بأجمعنا[3]".

بدأ الهجوم من قبل ابن الأحرش الذي كاد يقتحمها لولا حدوث الفوضى بين أنصاره، و المتمثلة في أعمال النهب للفنادق و الاستيلاء على ما فيها من ملابس، وهذا ما سمح لابن الأبيض و محمد الفقون، بمباغتتهم و إلحاق الخسائر بهم و إرغامهم على التراجع[4]، وقدرت خسائر ابن الاحرش بحوالي مائتي رجل، لهذا أمر أنصاره بإعادة الهجوم ليلا لكنه أصيب بجرح خطير، مما اضطره إلى الانسحاب إلى وادي الزهور[5].

لما عاد الباي عثمان إلى قسنطينة أرسل إلى الداي يطلب الأوامر و الامدادات، وكان الرد من الجزائر أسرع مما كان يتوقع حيث أمر الداي باي قسنطينة عثمان باي بمعاقبة الثائرين و القبض على ابن الأحرش حيث أرسل كتابا جاء فيه "لقد عينتك باي على قسنطينة و ظهر الشريف على أرضك، ويجب عليك أن تمشي شخصيا لمحاربة هذا

[1] ناصر الدين سعيدون، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص269.
[2] أوجين فايست ،المصدر السابق، ص114.
[3] العنتري، المصدر السابق، ص70.
[4] صالح عباد ،المرجع السابق، ص 309.
[5] هو واد يقع بالقرب من مدينة الفل و يصب في البحر الابيض المتوسط و لا يزال يحمل نفس الإسم إلى اليوم.

المتمرد و أن تنتقم انتقاما كبيرا لاحقوه أينما كان و لا تتوانوا و لا تهدأو حتى تحزوا رأسه أو تطردوه من مقاطعتكم[1]".

وقيل أنه تلقى خطابا شديد اللهجة جاء فيه بصريح العبارة :" لقد عينتك بايا على المقاطعة التي ظهر فيها الشريف، فمن الواجب أن تلاحقه وتقضي عليه، وإني أضعك بين أمرين لا ثالث لهما، رأسك أو رأس ابن الأحرش" لهذا كان على الباي عثمان تجهيز قوة تتكون من أربعة ألاف مقاتل من الانكشارية ومن الزواوة و 3500 فارس من قبائل دريد و التلاغمة و أولاد عبد النور و الزمول و أولاد عنان و ريغة ، و اصطحب معه أربعة مدافع، وتوجه الباي في جمادي الأولى(أوت 1804) من قسنطينة نحو وادي الزهور[2].

معركة وادي الزهور: كان ابن الأحرش في هذا الوقت في وادي الزهور في موقع قوي و حصين، به جبال مكسوة بالغابات و هاويات صعبة المنفذ[3]، لما وصل عثمان باي إلى المكان المقصود نزل في أرض هنا بين الجبال و خيمت المحلة و أبتدأ القتال مع ابن الأحرش ومن معه من القبائل[4]، حيث استقر في أرض منخفضة ومضيق وعر امتلأ بالماء بعد سقوط الأمطار مما جعل الباي يهرب فوقعت الهزيمة في المحلة و صاحت القبائل من كل جهة و حصلت الناس في الطين و لم يعرفوا طريقا فلم ينجو من تلك المحلة إلا قليل[5]

وقد ذكر ذلك العنتري بقوله:" فلما أراد عثمان باي الرجوع على أعقابه، لم يجد سبيلا ولا مسلكا لرجوعه، و انقطع بعساكره و جنوده وصار في الهلاك و الهوان ... فلما شاهدوهم القبائل في حالة الغرق و حلت بهم الندامة و القلق، بادروا إليهم في الحال و قتلوا الباي

[1] صالح نور ، المصدر السابق ، ص117.نظر فلة القشاعي المولودة موساوي النظام الضريبي القسنطيني أواخر العهد العثماني ، اشراف ناصر الدين سعيدوني رسالة ماجستير في التاريخ الحديث ، معهد الآثار جامعة الجزائر،1989-1990، ص163.

[2] زينب جعني، المرجع السابق، ص134.

[3] أوجين فايست ، المصدر السابق، ص117.

[4] الزهار، المصدر السابق، ص86.

[5] أحمد بن مبارك العطار، تاريخ قسنطينة، ط1، تحقيق عبدالله حمادي، دار الفائز للطباعة ،2011، ص114.

المذكور[1]" و أخذوا تلك المحلة، و غنموا منها أموالا لا تعد و لا تحصى، لكون الباي عثمان لم يترك شيئا بخزينة قسنطينة و حمل جميع ما فيها من الأموال، و تركها خاوية على عروشها[2]، أما الزبوشي رفس بقدمه على عين الباي العوراء، فحقق بذلك ما كان يعد به أنصاره، و بقيت جثة عثمان باي في العراء مدة خمسة أيام ، إلى أن أخذها أهل لعرابة من أولاد عواط فدفنوها[3].

مرحلة التراجع و الإنهزام: في هذه المرحلة تعرض ابن الأحرش إلى مصاعب جمة من جراء مطاردة الجيش التركي له من جهة و معاداة شيوخ الزوايا ورؤساء العشائر من جهة أخرى[4]، فلما بلغ السلطة المركزية بالجزائر مقتل الباي عثمان و تشتت قواته ، عزم الداي مصطفى على خوض المعركة بنفسه و مواجهة ثورة ابن الأحرش و القضاء عليها، إلا أن مستشاريه حاولوا اقناعه بالعدول عن ذلك[5]، فأرسل من الجزائر قائد الجيش علي آغا[6] آغا[6] لتهدئة الجهات الشرقية، و نصب على بايلك الشرق الباي عبد الله (1804-1806) 1806) و كلفه بملاحقة ابن الأحرش، قبل أن يحاول استغلال انتصاره على الباي عثمان أو يفكر في مهاجمة قسنطينة من جديد[7].

وقد كان متزوجا من الدايخة بنت بن قانة، شيخ العرب بقسنطينة فكاتب أصهاره، و جميع الرعية و استقام له الأمر و ساير كبراء العرب و اجتمع لديه أهل المخزن، ثم جهز محلة و خرج في طلب ابن الأحرش و قد تمكن هذا الأخير بإلحاق الهزيمة بابن الأحرش نواحي ميلة، لكنه ظهر فجأة ببجاية على رأس جيش هام مؤلف من ألفين أو ثلاثة

[1] العنتري، المصدر السابق، ص71.
[2] الزهار، المصدر السابق، ص86.
[3] صالح عباد، المرجع السابق، ص310.
[4] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية ، المرجع السابق، ص283.
[5] ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص344.
[6] عينه الداي مصطفى بايا على بايلك الشرق بعد مقتل الباي عثمان حيث عمل على القضاء على إبن الأحرش بحيث نظم أمور بايلك.
[7] الزهار، المصدر السابق، ص ص 86-87.

ألاف رجل من القبائل القاطنة مابين جيجل و بجاية، محاولا الإستيلاء على بجاية عام 1806، لكنه هزم ثانية أمام العثمانيين بمساعدة آل المقراني المتحالفين معهم[1].

وبعد هذه الهزيمة ورد خبر موته بالرابطة بالقرب من سطيف على يد الجنود الأتراك "اليولداش و العرب المتحالفين معهم، تحت زعامة آل المقراني في شهر فيفري هـ1222_1807م، ثم ظهر داعية آخر ادعى أنه ابن أخ ابن الأحرش وسمى نفسه محمد ابن عبد الله، ودعا الناس إلى الجهاد ضد السلطة الحاكمة لطردهم و استمرت حركته مدة أربع سنوات، و لم يتمكن جيش الباي من وضع حد لها إلا بعد مجهودات كبيرة [2].

وبعد تقهقر حركته بالشرق توجه ابن الأحرش إلى بايلك الغرب، وتحالف مع الشريف عبد القادر الدرقاوي و قد أشار إلى ذلك مسلم بن عبد القادر في خاتمته أنيس الغريب و المسافر بقوله:" ....كان قدوم ابن الأحرش على درقاوة من المشرق فازدادوا بقدومه فرحا و سرورا[3]"، و خاض بجانب ابن الشريف الدرقاوي عدة معارك منها معركة يوم السدرة بأغريس و معركة جديوية و معركة يوم ابن الأحرش سميت باسمه لموت جماعة من الطلبة كانوا معه[4].

أما محمد بن عبد القادر الجزائري، فيذكر أن قتل غيلة على يد ابن الشريف في الجهة الغربية و بقي في معيته إلى أن دس له من قتله من أصحابه"[5]، وقد شاع أن السلطان المغربي طلب نقل جثته إلى المغرب ، فأجيب إلى ذلك و نقل ليدفن بمدينة فاس هذا ومن الراجح أن سبب فشل حركة محمد ابن الأحرش بالشرق الجزائري يعود إلى ارتباطها بالطريقة الدرقاوية التي لم يكن لها أنصار بالشرق الجزائري بإستثناء بعض المتعاطفين معها فقد كانت جل القبائل تدين بالولاء لزعمائها المتعاملين مع البايات حرصا على امتيازاتهم و تتعاطف مع شيوخ الطريقة الرحمانية المهادنة للحكام الأتراك، و التي كانت

[1] ابن سحنون، الثغر الحماني في ابتسام الثغر الوهراني،ط1، تحقيق المهدي البوعبدلي علم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر ، 2013، ص46.
[2] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية في العهد العثماني، المرجع السابق، ص277.
[3] زينب جعني، المرجع السابق، ص136.
[4] ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، المرجع السابق، ص345.
[5] الجزائري محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص140.

تتخوف من حركة درقاوة و ترى فيها منافسا خطيرا لنفوذها[1]، كما أن عدم اغتنام ابن الأحرش فرصة مقتل الباي وتشتت قواته بواد الزهور للقضاء على سلطة البايلك سمح لحكومة الدايات بإعادة تنظيم نفسها و إرسال الإمدادات إلى قسنطينة و عزل ابن الأحرش عن أغلب القبائل التي ساندته أول الأمر بتقديم الهدايا لأعيان المدن و القبائل و الزوايا بعد تزايد خطر ابن الأحرش ضدهم، كما أصدر الدايات مراسيم تعترف بمكانتهم و نفوذهم، وهو ماجعل الزوايا و الأسر الكبيرة (الطريقة الرحمانية و عائلة المقراني) طرفا فعالا و مؤثرا في الأحداث ووسيلة فعالة في فرض نفوذ البايلك[2].

أضافة إلى نفور سكان المدن من ابن الأحرش و معاداة شيوخ القبائل، ويعود السبب في ذلك إلى تعارض المصالح و إختلاف طرق العيش و أسلوب الحياة بين أهالي الريف و سكان الحواضر و انعدام الصلة بين الثائرين و عامة الناس ولعل الخطأ الجسيم الذي ارتكبه ابن الأحرش هو عدم معاودة الهجوم على قسنطينة وبقاؤه بمنطقة الشمال القسنطيني و تركه للطريق الرابط بين قسنطينة و الجزائر مفتوحا تنقل عبره الأخبار و يصل عن طريقه البريد و تسلكه الفرق العسكرية المتوجهة لمهاجمة الثائرين[3].

المبحث الثالث: نتائج ثورة ابن الأحرش

كان لثورة ابن الأحرش آثار و خيمة انعكست على أوضاع البلاد بشكل كبير و يتمثل ذلك في:

- إضعاف نفوذ البايلك بالأرياف، وزيادة انعزال المدن، وذلك لما نتج عنها من خسائر فادحة في الأموال و الأرواح و الاسلحة.
- أقنعت سكان الأرياف بإمكانية الثورة على سلطة البايلك ورفض دفع الضرائب و المطالب المخزنية و عدم الرضوخ للأحكام الجائرة[4].

[1] ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص345.
[2] زينب جعني، المرجع السابق، ص135.
[3] ناصر الدين سيعدوني ، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص ص 287-290.
[4] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية ، المرجع السابق، ص291.

- انتشار الفوضى و الاضطرابات في الاضطرابات في الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية و انعدام الأمن و الاستقرار.
- إهمال الزراعة و تضرر السكان من قلة القوت، مما أدى إلى المجاعة و ذكر عبد الرحمان الجيلالي، أن الجزائر ما كادت تنتهي و تستريح من ويلات الحرب المخزية حتى فاجأها الجدب و القحط بكامل البلاد، وأصبحت تعاني من أزمة مجاعة حادة و خانقة ارتفعت فيها الأسعار وغلاء المعاش غلاء فاحشا حتى بلغ سعر الصاع الجزائري وهو ما يزن 34 كلغ تقريبا من الشعير بخمسة عشر بوجا، فمات الناس جوعا و استمر الحال على ذلك بضع سنين[1].

ويذكر العنتري أنه وقعت مجاعة شديدة في قسنطينة وقد إستمرت ثلاثة سنوات متتابعة "حصلت للناس شدة ومجاعة أشرف فيها الضعفاء على الهلاك خصوصا بعض نواحي القبلة فإنهم تشتتوا عن منازلهم و تفرقوا بسبب الهول الواقع في وطنهم مع الشر و المصائب التي حلت به من قبل، من يبس الزرع وعدم الحرث ونزول القحط و الفتن إلى غير ذلك مما تقدم، حتى صاروا يقتاتون الدم و الميتة وغير ذلك مما لا يباح إقتياته[2]".

وقد نظمت بعض الأشعار الشعبية عن هذه الحالة التي كان يعيشها الناس آنذاك :

تحزمت رجالي للفتن التل يخلي و تزول منه الذخائر

وتصير النخلة برخلة ولا شك تخلي الجزائر

وكذلك الشاعر الشعبي الرحموني الذي عاصر هذه الثورة حيث قال :

الأسعار راه غلات وحتى أمطار الصيف ادفاقوا

الحرث راه صعب نبته اليبس و الحجر يكثروا[3]

- زادت في حدة التنافس الإنكليزي الفرنسي على اكتساب مناطق النفوذ و الحصول على الامتيازات بالإيالة الجزائرية، وهذا ما جعل كثيرا من الناس يعتقد أن للإنجليز صلة بالثورة

[1] عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام ، ج3، شركة دار الأمة الجزائر، 2010، ص ص 263-264.
[2] جمال، فتان، المرجع السابق، ص343.
[3] صالح فركوس، المرجع السابق، ص107.

نظرا لعلاقتهم الوطيدة بابن الأحرش الذي أصدر أوامره للسفن التابعة له بعدم التعرض للبواخر الإنكليزية[1].

خلاصة

تعتبر ثورة ابن الأحرش من أخطر الثورات التي عرفتها إيالة الجزائر طيلت الوجود العثماني إذ أنهكت بايلك الشرق و سكانه، و بهذا لم تزداد البلاد أمنا ورخاء، حيث زعزعت امن البلاد لكنها من جهة أخرى نجدها قد وحدت صفوف السكان المتذمرين من السياسية الحاكمة، فكانت منفذا للتعبير عن سخطهم على الأوضاع الإقتصادية و الإجتماعية و حتى السياسية التي كانت تسود البلاد من جراء الحكم العثماني الفاسد خاصة سياسة الضرائب المجحفة، و بالرغم أن هذا الثورة كانت تحمل شعارات دينية لهذا وجدت الكثيرين ممن يلتفون حولها. إلى الدور الكبير الذي لعبته القوى الخارجية بتعزيز هذه الثورة و دعمها ماديا و مالقيته من تقبل السكان لكنها فشلت في تحقيق أهدافها الرامية إلى الحد من تعسف الاتراك و ظلمهم رغم الاساليب التي اعتمدها ابن الأحرش لكسب القبائل في الشرق الجزائري إلا ان تبنيه للطريقة الدرقاوية لم يمكنه من إيجاد أنصار أكثر ولاء له لأن أغلب سكان الشرق الجزائري ينتمون إلى الطريقة الرحمانية المهادنة للحكام العثمانيين إلا أن هذه الثورة ساهمت في إضعاف الحكم العثماني في الجزائر.

[1] ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص347.

الفصل الثالث

ثورة عبد القادر بن الشريف الدرقاوي

المبحث الأول: عبدالقادر بن الشريف الدرقاوي

المبحث الثاني: مراحل ثورة عبد القادر ابن الشريف

المبحث الثالث: نتائجها

مع مطلع القرن التاسع عشر شهدت الجزائر اندلاع أخطر ثورة على العثمانيين، و التي تزعمتها الطريقة الدرقاوية بالغرب الجزائري بقيادة عبد القادر ابن الشريف و لقد اجتمعت العديد من الظروف و الأسباب التي عجلت بقيام هذه الثورة.

المبحث الأول: عبد القادر بن الشريف و أسباب ثورته

1-**التعريف بشخصية عبد القادر بن الشريف:** هو عبد القادر بن الشريف من أولاد بليل الكساني القاطن بواد العبد[1]، نواحي فرندة تعلم بمسقط رأسه ثم التحق بمهد السيد محي الدين والد الأمير عبد القادر[2]، وصل إلى مسمعه صوت الشيخ محمد العربي الدرقاوي فسافر إلى زاويته في بوبريج بناحية فاس، فتدرب على يده وعينه مقدما لطريقته ثم عاد إلى مسقط رأسه أولاد بليل وفتح زاويته لتدريس و تلقين أوراد الدرقاوية للراغبين فيها، و أشتهر هناك بالزهد و الورع[3].

ولم يلبث أن غير مظهره حيث يقول الزياني في هذا الصدد: " ... فرجع إلى بلده وترك تعليم القرآن للطلبة، ولبس المرقع وركب الكلخ و علق الببوش و القرون معه وأبتدع أمورا يمجها الطبع و ينكرها الشرع و اقتدى به الكثير من الناس حيث ظهر صيته بين أظهر الأعراب فدعا أهل الصحراء لبيعته فأجابوه لذلك[4]."

ولعل هذا كان سبب إختلافه مع شيخه محي الدين، فرحل إلى قبائل "أحميان" و "شافع" سنة 1217هـ و أدعى أنه المهدي المنتظر فصدقه الناس و قاموا بنصرته[5]، حيث أظهر لهم الكرامات و أدعى أنه صاحب الوقت و أتبعه العرب و سارت إليه القبائل[6]، من كل الجهات لمبايعته و اللأنضواء تحت لوائه[7].

---

[1] الزياني ، المصدر السابق، ص272.
[2] ابن سحنون، المصدر السابق،ص42.
[3] عبد الحكيم مرتاض، الطرق الصوفية في الجزائر في العهد العثماني(1815-1830) جامعة وهران قسم التاريخ و علم الآثار ، الموسم الجامعي 2015-2016، ص 301.
[4] الزياني، المصدر السابق، ص273.
[5] محمد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص137.
[6] الزهار ، المصدر السابق، ص84.
[7] المزاري، المصدر السابق، ص302.

2-أسباب ثورة عبد القادر بن الشريف

يمكن إرجاعها الى العلاقة السيئة بين العثمانيين و الطرق الصوفية و خاصة الدرقاوية و التيجانية منها ، فقد دخلت في صدام عسكري استمر طيلة الربع الأول من القرن 19م؛ حيث قام بايات وهران بإعدام عدد كبير من المرابطين و العلماء و المنتسبين للطرق الصوفية، فتم إعدام محمد الصادمي مرابط أولاد سيدي بن حليمة، والشيخ عبد الله بن حوا، و الشيخ فرقان الفليتي، و لم ينجو منهم سوى محمد بن عبد الله بن سحنون و الشيخ محي الدين بن مختار[1].

-وقد ذكرت المصادر التاريخية أن من أقسى بايات وهران على الطرق الصوفية، كان الباي بوكابوس، إذ وصل به الأمر أنه كان يعاقب كل من وشي به دون التحقق من أمره، كما يقول المزاري ،وكان يلقي على المتهمين صنوف مختلفة من أنواع العذاب، و لا يقبل فيهم شفاعة فمنهم من كانت تدق أعضائه حيا، ومنهم من كانت تقلع عيناه ومنهم من تقطع أعضائه حيا إلى أن يموت، ومنهم من يشنق[2] ،ونتيجة لذلك فر الكثير من الثوار من المنتسبين إلى الطرق الصوفية إلى المغرب الأقصى[3].

- ويذكر صاحب كتاب الاستقصاء، أن السبب في ذلك، بأن باي وهران كان له انحراف على الفقراء و المنتسبين و سوء اعتقاد فيهم، فقتل بعض الطائفة الدرقاوية و أمر بالقبض على مقدمهم عبد القادر بن الشريف، ففر هذا الأخير إلى الصحراء و نزل بحلة الأحرار[4].

- كما كان من أسباب ثورة الدرقاوي هي سياسة مصادرة الإقطاعات، خاصة إقطاعات رؤساء القبائل الذين كان لهم مطلق التصرف في إقطاعاتهم، رفضوا الخضوع للأتراك، و

[1] عبد القادر بلغيت، الحياة السياسية و الاجتماعية في مدينة وهران خلال العهد العثماني، جامعة وهران كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية، السنة الجامعية 2013-2014، ص59.
[2] المزاري ، المصدر السابق، ص330.
[3] أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)، ط1،ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص427.
[4] الناصري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، القسم الثاني ،ج8، جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب الدار البيضاء 1997، ص109.

قد لخص أحد شعرائهم سبب هذا التمرد و اختيارهم للاستماتة في المقاومة في بيتين قائلا :

قالو التـــرك ندو (الشلف) لاوهمة قلـنا لهم جـــدودنـــا في الـواد

ما نتركوش شلف حتى قطيب الصمة و ما نهدوش العتبة على الأولاد[1]

- وهذه وجهة نظر المؤرخ أبي القاسم الزياني " و في عام 1220هـ وقعت فتنة بين الترك و العرب أهل الواسطة بسبب بعض الفقراء درقاوة، قتلهم الباي ووجه في طلب شيخهم[2].
- كما تعرض حمدان خوجة لأسباب ثورة عبدالقادر بن الشريف، حيث قال: " وأكبر المظالم التي حدثت بين الجزائر نجمت عن إسناد مناصب البايات إلى أشخاص ليسوا ذوي جدارة و لا كفاءة، ومن هؤلاء الأشخاص شخص يسمى مصطفى[3]"؛ حيث كان هذا الأخير صنيع للخزناجي و محبوب لديه، فقد عينه باشا لوهران بعدما إلتزم بدفع مقدار كبير من المال، مقابل هذا التعين وليس لهذا الباي أية علاقة، و أدنى ارتباط مع شيوخ ولم يكن يعرف أبدا هذا الإقليم بل لم تظهر عبقريته إلا في سلب أموال الرعية و إرسالها إلى حاميته[4]، وهذا ما يعطي صورة على تعفن الجهاز الإداري العثماني حيث أصبح الباي لا يبحث عن مصلحة العامة، بل يجعل مصالحه الشخصية أولى اهتماماته.

المبحث االثاني: مراحل ثورة عبد القادر بن الشريف

1- **مرحلة الإعداد و التحضير**: بعدما تولى الباي مصطفى آمر وهران ظهر ابن الشريف وكانت العرب في أمر القيام على الترك[5] نظرا للأوضاع السياسية و الإجتماعية السيئة، حيث استغل عبد القادر ابن الشريف هذا الوضع لصالحه خاصة عندما بلغه أن الباي مصطفى ينوي به سوء كما ذكر ابن سحنون فاستعد للطوارئ[6]، حيث ظهر أنه

[1] ابن سحنون، المصدر السابق، ص 39.
[2] الزياني، المصدر السابق، ص14.
[3] تولي الباي مصطفى هذا المنصب سنة 1800 وظهرت في أيامه ثورة عبد القادر بن الشريف و في سنة 1801 غزا أنكاد إلا أنه انهزم أمامهم و تصفه الصادر بأنه كان جبارا و بسبب ضعف الباي في مواجهة ثورو درقاوة عزله داي الجزائر، المزاري، المصدر السابق، ص301
[4] حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص130.
[5] الزهار، المصدر السابق، ص64.
[6] ابن سحنون،المصدر السابق، ص42.

المنقذ وأدعى أنه صاحب الوقت اتبعه العرب وسارت إليه القبائل و ظهرت له كرامات، هذا ماجعله يلقى استجابة كبيرة، حيث جلب إليه أناس كثيرون وكان بوسط حشم غربيين[1]، حيث وجه عبد القادر بن الشريف النداءات إلى كل القبائل لتعلن الحرب و الجهاد ضد العثمانيين و حلفائهم من قبائل المخزن في إستراتيجية ذكية لتكثيف الجهود ووظف في ندائه سياسة الإعفاء الضريبي التي كانت الحلقة البارزة و العامل المهم في تأييد القبائل له و مناصرته، مما مكنه بعد ذلك من السيطرة على جغرافية واسعة من البلاد امتدت من حدود مليانة شرقا إلى وجدة غربا مما أدى بالحاميات العثمانية إلى الإنسحاب صوب المدن الساحلية، وقد مكنه هذا الإلتفاف الجماهيري[2] من تحقيق قاعدة شعبية كبيرة، حيث كان يجول البلاد باثا تعاليمه التي وجدت صدى كبير في وسط السكان و خاصة سكان الصحراء الذين كانوا يقدمون له الهدايا و في هذا الشأن يقول الزياني "... كلها شيعته تهدي إليه الهدايا و تعطى العطايا ...."؛ حيث كان الأهالي يشكون إليه الظلم الذي أصابهم جراء الضرائب، والمكوس المفروضة عليهم وهو بدوره نقل إلى شيخه عندما ذهب إلى المغرب الأقصى في بني زروال عند محمد العربي بن أحمد البوبريجي الدرقاوي حيث قال له" يا سيدي أن في وطننا قوما يقال لهم الترك لا شيء لهم من دعائم الإسلام ويظلمون الناس ولايعبئون بالعلماء و الأولياء، نسأل منك أن يكون هلاكهم على يدي لتستريح منهم العباد و تطهر منهم البلاد فقال له عليك بجهادهم و قتالهم وأن الله ينصرك عليهم..."[3] حيث صور له العثمانيين كفار مارقين الأمر الذي جعله يحصل على إذن من العربي الدرقاوي لإعلان الحرب على الأتراك حيث صدقه في أقواله وأذن له في إعلان الحرب عليهم بكل الوسائل فعاد إلى الجزائر و كله حماس لذلك و أخذ يجند أتباعه لإعلان ثورته[4]، وقد استغرقت مرحلة الإعداد للثورة وجمع أكبر عدد

[1] الزهار، المصدر السابق، ص65.
[2] أمبارك شوادر،المرجع السابق، ص234.
[3] الزياني ، المصدر نفسه، ص272.
[4] يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، دار زمورة للنشر و التوزيع الجزائر ، 2015، ص67.

من الأنصار مدة خمس سنوات (1800-1805) ولما أتم استعداده صادف هذا انهزام إحدى المحلات العثمانية أمام قبائل الأنجاد المتمردة ضد الأتراك، و قد استغل ابن الشريف هذا الوضع ليعلن الثورة، فتوجه برجاله نحو البطحاء قرب وادي مينا حيث كان معسكره وهنا تصادمت قواته مع قوات الباي مصطفى[1].

2-مرحلة القوة و المواجهة

-**معركة فرطاسة:** لما سمع الباي مصطفى بأمر الدرقاوي جهز له جيش عظيم و قصده فالتقاه بمكان يسمى فرطاسة* بين وادي مينا ووادي العبد و أشتعلت النار بينهما و حمي الوطيس[2]، وصارت نار الحرب بينهما دائرة و تزاحم الجيشان فانهزم الباي و مخزنه وبقيت محلة الباي بما فيها بيد الدرقاوي[3]، حيث فر الباي إلى معسكره وكان ذلك عام 1805 الموافق لـ 08 ربيع الأول 1219هـ[4]، حيث سحقت في هذه المعركة قوات الباي تحت أقدام المتمردين، و أعلنت القبائل الموجودة من ملياني حتى وجدة تمردها و لم يبق للباي علم مرفوع إلا في مستغانم ووهران و المرسى الكبير فقط[5]

- وقد جسد أحد الشعراء هذه الواقعة في أبيات حيث قال:

- فرطاسة يومها ترى الجنود به مابين قتلى و اسرى غير ناجينا
- فالباي جاء بجيش لأنفاذ له به يريد لقاء العدو بـــــاغين
- فلم يحقق له سعيا و لا أمل بل جاء جنده صفر الكف باكينا
- فاليوم لإبن الشريف غزا فيه على باي الأعاجم لولا الدين لا الدنيا[6]

[1] حنفي هلايلي، المرجع السابق، ص32.
[2] الزياني ، المصدر السابق،ص273، ابن سحنون ، المصدرالسابق،ص42.
[3] المزاري، المصدر السابق، ص304.
[4] يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ ، المرجع السابق، ص68.
[5] غريز سامح، المرجع السابق، ص588.
*قرية غرطاسة غليزان تبعد عن وهران مسافة 150 كلم سماها الفرنسيون بوادي الأبطال.
[6] المزاري ، المصدر السابق، ص304

ثم أن الدرقاوي لما استولى على المحلة وعز جانبه كتب للرعايا قائلا" قد نزعنا عنكم مظلم الترك و الذل و المسكنة و المغارم و المكوس فالواجب عليكم مبايعتنا " فوافقه جمع غفير و خلق كثير[1].

- أما الشاعر مسلم الحميري وصف معركة فرطاسة بقوله
- فيوم فرطاســة يوم كـبير ذل فيه العزيز عز الحقير
- لقد هيأ مصطفى جيشا كبير تركا و مخزنا الملك الجديد
- فلم تكن ساعة إلا و انهزموا من جيش قليل هياه الفقير[2]
- أما عبد القادر بن الشريف بعد انتصاره الساحق بفرطاسة، أخذ طريقه إلى غريس ثم إلى مدينة معسكر، التي اقتحمها و أخضعها لسلطته بعد أن تغلب على حسن خليفة الباي وجمع بها أهله و أولاده و خاصته و أتخذها شبه مقر و عاصمة له[3].

وزاد الأمر تعقيدا بإنهزام قوات الباي مصطفى المنزلي، في بلاد أمجاهر في 13 ربيع الأول 1219هـ، الموافق لـ 22 جوان 1805 ، والتي كان يقودها خليفة الباي عدة بن غريج الذي طرده سكان مازونة مع فرقة عسكرية، فبعد أن خرج من هذه المدينة هاجمته قبائل أمجاهر و أولاد خلوف و قضوا على وحداته العسكرية و كان بإمكان هذه القوات أن تغير الأوضاع في مدينة وهران و هذا ما زاد الأمر سوءا[4].

أخذ بعد ذلك ابن الشريف طريقه إلى وهران نفسها على أمل السيطرة عليها فمر بمدينة سيق، و أخضع سكانها بالقوة إليه، و أوقع بسكان غيط قيرة الذين حاولوا ان يقاوموه فقتل و سبى منهم خلق كثيرا و أحدث مجزرة كبيرة ،اشتد فيها النواح حتى عرف ذلك المكان باسم "شعبة النواح" لكثرة نوح الناس بالبكاء على أنفسهم و أهليهم، وصارت جنود الدرقاوي ما تمر بموضع إلا وتركته وحشا مهانا[5].

[1] الزياني ، المصدر السابق، ص274.
[2] المزاري، المصدر السابق،ص305
[3] يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ،المرجع السابق، ص68. صالح عباد، مرجع سابق، ص35.
[4] عبد القادر بلغيت، المرجع السابق، ص68.
[5] الزياني، المصدر السابق، ص275. يحي بوعزيز مدينة وهران عبر التاريخ، المرجع السابق، ص68.

حصار وهران : عندما وصل الدرقاوي إلى وهران كان يتصور أنه سينتصر بسهولة اعتمادا على إنتصاره في فرطاسة، ولكنه خاب أمله لأن سكان وهران استبسلوا في الدفاع و المقاومة على مدينتهم[1] ومع استمرار هذا الوضع اضطر داي الجزائر في البداية إرسال مستشاره "علي آغا" لقتال ثوار درقاوة وفك الحصار، فخرج من العاصمة من طريق البر فتعرض له الثوار في نواحي واد الشلف و حاصروه ومنعوه من شرب الماء فكاد يهلك هو و جنده، فاستجار بالشيخ العطاف فمنعهم عنه[2]، وقد خيمت حاميته نواحي مليانة في طريق العودة إلى الجزائر، ولها بلغه نبأ متابعته الثائرين له انتقلت حاميته إلى حجوط و فيها دارت معارك بين الطرفين أسفرت على العديد من القتلى، وتحت جناح الليل أمر علي آغا المحلة بالرحيل إلى الجزائر، ولما بلغ الداي نبأ عودة المحلة أرسل رسوله إلى علي آغا، يأمره بالعودة إلى وهران فرفض العسكر و أعلنوا عصيانهم[3]، وبفعل الحصار الذي ضربه الدرقاوي على المدينة انقطعت الطرق ووقع الغلاء في الحبوب وغيرها[4] وصاروا يأتون بالقمح من الجزائر عن طريق البحر حتى نفذت أقوات أهل المدينة و يصف المشرفي آثار هذا الحصار فيقول: "... فحصر الملك في ثغر وهران و انسدت طرق البر إلى الجزائر فلم يأتيه إلا في البحر الخبر الزائر وانقطع عليه المدد..." و يختلف المؤرخون في مدة الحصار فيقول لابان laban أن مدة الحصار دامت ستت أشهر بينما يقول دونوفو do novue أنه لم يمكث إلا شهرين، في حين قال فاي fay أنه دام ثمانية أشهر، وذهب المؤرخ الجزائري المشرفي إلى أبعد من ذلك و يرى أن الحصار دام سبع سنوات، و يبدو أن هذا القول مبالغ فيه ولعله يقصد بهذه المدة الطويلة مدة الثورة الدرقاوية في بايلك الغرب، ولعل القول الأرجح هو قول لابان وفاي بين ستة و ثمان أشهر لأن السكان تعرضوا لضائقة شديدة[5].

[1] يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ،المرجع السابق،ص68.
[2] محمد بن عبدالقادر الجزائري، المصدر السابق، ص148.
[3] أحمد الشريف الاطرش، السنوسي، المرجع السابق، ص282.
[4] الزهار، المصدر السابق، ص84.
[5] عبد القادر بلغيت ، المرجع السابق ، ص64.

و أمام هذا الوضع الصعب طلب داي الجزائر تدخل السلطان المغربي مولاي سليمان لدى شيخ الطريقة العربي الدرقاوي المقيم في فاس ليقوم بتهدئة أتباعه[1]، حيث كتب داي الجزائر إلى السلطان المغربي قائلا " أن أسلافكم ملوك الدولة العلوية مع ملك الدولة التركية كانوا يدا واحدة لا تشاجر بينهم غير أن هذا القائم علينا درقاوي الوسيلة و شيخه من إيالتكم بجبال بني زروال و هو الذي يمده بطائفته فرأس الحية عندكم و ذنبها عندنا..."[2] ، فاستجاب له السلطان لهذا الطلب حيث بعث شيخ الطائفة إلى الجزائر بالضبط إلى تلمسان و اجتمع بتلميذه و كان رفقة الشيخ المذكور وفد هام من أقارب الملك[3]، فانتهى الشيخ إلى ابن الشريف، وهو في جموعه فشكا إلى الشيخ ما نال الفقراء و المنتسبين و سائر الرعية من تعسف الترك و جورهم و انتهائهم في ذلك إلى القتل والطرد عن الوطن، فتوقف الشيخ وربما صدر منه بعض التقبيح لفعل الترك و ما هم عليه و ازدادت العرب بذلك تظاهرا على الترك و تكالبا عليهم[4]، ومن خلال المصادر يذكر الزياني أنه عند مجيء الدرقاوي لابن الشريف شجعه على مواصلة حصار وهران و الإجتهاد في فتحها، لكنه تراجع عن هذا الأمر عندما رأى فساد جيوش ابن الشريف، وسمع الآذان في مدينة وهران وقد كان يظن أن الاتراك لا يصومون و لا يصلون ولا يتبعون الشرع كما قال له ابن الشريف، فلذلك تراجع عن أمره بالاستيلاء على المدينة وغضب منه لكذبه عليه و قال له: إنك قلت لي أن الترك ومن تبعهم من نصارى لا يصومون و لا يصلون وليس لهم من دعائم الشريعة شيء[5]، و يوافق المزاري ما ذهب إليه الزياني أن العربي الدرقاوي تراجع عن ضرب المدينة بعد أن أزعجه قتال المخزن،

[1] حنفي هلايلي، المرجع السابق، ص34.
[2] عبدالقادر بلغيت، المرجع السابق، ص65.
[3] ابن سحنون، المصدر السابق، ص47.
[4] الناصري، المصدر السابق، ص110.
[5] الزياني، المصدر السابق، ص278.

ورد عن ابن الشريف قائلا " إن الجهاد فيك وفي قومك جائز لا في أهل وهران ولاشك أن الدائرة عليك لا لك و هذا فراق بيني و بينك و إني بريء مما أنت مرتكبه[1].

وعندما فشل العربي الدرقاوي في مسعاه، في رفع الحصار عن وهران و إقناع ابن الشريف ،أخذ الشيخ حفنة من التراب ورماها إلى الريح قائلا: " هكذا سيكون مستقبل ابن الشريف" وعاد من حيث أتى بعد أن سحب حجابه من ابن الشريف في هذا الوقت تدخلت مدينة الجزائر حيث أرسلت سفينة محملة بالجنود[2]، كما أرسل الداي من يخلف الباي مصطفى الذي عزل و عين بدله محمد بن محمد بن عثمان* الملقب بالمقلش وهو خامس بايات وهران.

ويذكر المزاري في طلوع سعد السعود" وكان من خبره أنه لما قدم لوهران وجد الدرقاوي محاصرا لها من كل جهة ومكان والناس في ضيق شديد من طول الحصار و انقطاع الأقوات...[3] "

وعندما وصل المقلش إلى وهران وجدها مغلقة الأبواب و جهز حامية خيمت خارج المدينة و جمع من الجنود الإنكشاريين حوالي 1300 جندي دحر بهم الثائرين كما وعد من يأتيه برأس ثائر بعشرة سلطاني[4]، و أمام هذا الوضع الحازم رفع الدرقاوي الحصار عن المدينة و انسحب و أتباعه في فوضى عارمة سمحت بضرب مؤخرة الجيش[5].

3. **مرحلة التراجع والانهزام** : بدأت هذه المرحلة بفشل ابن الشريف في اقتحام مدينة وهران و بذلك تدخل الثورة الدرقاوية مرحلتها الأخيرة، و هي مرحلة الانهزامات المتتالية فقد ثارت قبيلة الغرابة[6] على الدرقاويين فهزمتهم بغرض أخذ الثأر منهم بعد مقتل رجالهم

---

[1] الزياني ، المصدر نفسه، ص278.

*الباي محمد بن عثمان: هو محمد بن محمد بن عثمان الملقب بالمقلش وهو خامس بايات وهران كان قد انتقل مع أخيه عثمان إلى مدينة البلدية أقام بها إلا أن قام ابن الشريف بالثورة على باي وهران مصطفى بن عبدالله فلما رأى حكام مدينة الجزائر عزل مصطفى باشا عزلوه و خلفه هو و حكم من سنة 1805 إلى سنة 1808 أنظر المزاري ، المصدر الستبق، ص 312.

[2] صالح عباد ، المرجع السابق،ص278.

[3] المزاري، المصدر السابق، ص309.

[4] أحمد الشريف الأطرش السنوسي، المرجع السابق ، ص282.

[5] صالح عباد، مرجع سابق، ص317.

[6] الغرابة ويطلق عليهم لقب العبيد أو عبيد البخاري الذين جاءو مع السلطان اسماعيل عندما غزا الغرب الجزائري سنة 1700م و تضم 8 أعراش

و نسائهم، وكذلك ثارت عليهم قبائل البرجية[1] وبني شقران فزموهم كذلك، بحيث إستولو على جميع غنائم الدرقاوي التي جمعها من قبل.

كان لهذه الهزيمة وقع حسن في مدينتي معسكر ووهران، في معسكر أطلق السكان سراح قائدهم المسجون محمد بن الخضراوي بن إسماعيل، واستولوا على عائلة الدرقاوي و قتلوا اتباعه، ولما عاد بعد الهزيمة يلوز بمدينتهم أوصدوا أبوابها في وجهه، مما أضطره إلى السير نحو الجنوب مع قبيلة الأحرار التي بقيت إلى جانبه[2].

أما الباي محمد المقلش تابع مطاردة الدرقاويين حيث طاردهم سنة 1806، في قبيلة فليتة فقضى على ثورتهم ، ثم طرد الباي الدرقاوي إلى بلاد بني عامر ونزل تاسلة والتقى بجموع الدرقاويين من الأعراب و هزمهم هزيمة منكرة ثم سار إلى تلمسان وتفقدها وأصلح أحوالها ثم عاد إلى وهران[3].

بينما كان الباي محمد المقلش يقوم بجولة تفقدية للمناطق الشرقية من البايلك بلغه أن الدرقاوي يستعد ليزحف على مدينة معسكر بأتباعه و أنصاره، بعد أن التحق به ابن الأحرش الدرقاوي زعيم الثورة لبايلك الشرق، فاتجه الباي إلى معسكر وقسم جيشه إلى قلب وميمنة وميسرة و اصطدم بالدرقاويين[4] في معركة عين السدرة في منطقة غريس قرب قرب معسكر،وقد أورد هذا الخبر مسلم بن عبد القادر بقوله "درقاوة إجتمعت في معركة يوم السدرة بأغريس...كان قدوم ابن الأحرش عليهم من الشرق فإزدادوا بقدومه فرحا وسرورا " وقد شارك إبن الأحرش مع زميله في معركة أخرى عرفت بيوم إبن الأحرش والتي قتل فيها جماعة من الطلبة الذين كانوا مع إبن الأحرش وفي هذه المعركة إيضا

[1] البرجية: قبيلة مخزنية تتشكل من مجموعة من الأعراش و موقعهم في مدينة البرج و ضواحيها قرب معسكر.

[2] صالح عباد، المرجع السابق، ص318.
[3] أحمد الشريف الأطرش، المرجع السابق،ص288.
[4] يحي بوعزيز ، مدينة وهران عبر التاريخ،المرجع السابق، ص71

هزم فيها ابن الشريف بعد الإمدادات التي وصلت إلى الجيش العثماني واضطر الدرقاوي و ابن الأحرش إلى الفرار لينجوا بنفسيهما[1].

ومن جهة اخرى اعتمد الباي محمد المقلش وسيلة التسامح و التقرب من القبائل خاصة الكبيرة منها ، جيث تقرب بالمصاهرة إلى رئيس أعظم قبيلة إنتصرت لدرقاوة وهي قبيلة الحشم[2] وذلك ليضمن وقوفها إلى جانبه ضد الدرقاويين، ثم خرج الباي مرة أخرى إلى بني عامر المتحالفة مع الدرقاوي حيث خرب الباي إقليمهم الذي تركه صحراء، كما عاقبه بني مجاهر و بني زوال عقابا شديدا، لكن هذه الإنتصارات انتهت بإعدام الباي المقلش بأمر من الداي ليعود مصطفى المنزلي بايلك الغرب مرة أخرى حيث وصل هذا الأخير أعمال سلفه[3].واصطدم بالدرقاوي مرتين إحداهما في قبيلة فليتة عرفت احداثها بيوم الثعالبة و الثانية في بلاد خالفة في قبيلة مغروسة انهزم فيهما الدرقاوي، وخسر من أنصاره العدد الكثير و في موقع وادي الخير لحق الباي و شتت جموعه، إلى ان أتى أمر الداي بترقية الباي مصطفى إلى منصب خزناجي فخلفه محمد ببن عثمان الملقب بـ بوكابوس[4] وكان ذلك سنة 1222هـ-1807م و بقي بايا لمدة خمس سنوت اشتغل فيها بمحاربة الدرقاوي و انصاره و قطع آثاره و معالمه حيث كان الباي يقتل كل من له صلة بالدرقاوي و إبتدع أمورا لم يسبقه إليه أحد من البايات[5].

ظهر الدرقاوي من جديد في مطلع سنة 1809م إلا أن النصر لم يكن حليفه، و لم يجد من سكان الإيالة الوهرانية ذلك الترحيب الذي كان يلاقيه، فأنفصل عنه رجال امجاهر و البرجية و طردته قبائل الأحرار عندما لجأ إليها، فإنتقل إلى عين ماضي فلما طرده أهلها التجأ إلى قبيلة بني يزناس وتزوج بنت شيخ القبيلة و إتخذ منها مليشية لمنازل الأتراك[6]

[1] المرجع نفسه، ص71.
[2] ابن سحنون ، المصدر السابق، ص47
[3] صالح عباد، المرجع السابق، ص391.
[4] أحمد الشريف الأطرش، المرجع السابق، ص283.
[5] الزياني ، المصدر السابق، ص295.
[6] أحمد الشريف الأطرش،المرجع السابق، ص283.

أما الباي بوكابوس قد ألقي عليه القبض و أعدم على خلفية تمرده على الباشا وإعلان بيعته لسلطان المغرب الأقصى سليمان بن محمد و عين مكانه علي قارة باغلي[1] على بايلك الغرب[2].

ظهر الدرقاوي من جديد في بني يزناسن و طلب منهم العون و التأييد و المساندة فلبى البعض منهم رغبته، فقرر الباي علي قارة الخروج إليه وقصد واد مينا*، وضم إليه هناك محلة الطريق، و طلب من سكان المنطقة أن يكونوا يقظين و يجندوا له الرجال ففعلوا، و اقتحم الباي بلاد الأحرار، و شتت شملهم و أفسد زرعهم و حقولهم[3]، فلما أحس الدرقاوي أنه مدرك لا محالة غادر القبائل من غير رجعة إلى المغرب الأقصى[4]، حيث تراكمت عليه الهموم و الغموم و ضاق به فسيحه و افترقت عليه أتباعه و تبرأت من عمله، و لم يبقى من ينضم إليه لما نالهم من العطب لأجله[5]، و يبقى تحديد تاريخ و مكان ابن الشريف محل خلاف بين المصادر سواء المحلية و الأجنبية فالزياني و مسلم بن عبد القادر يتفقان على ما جاء به إسترهازي estorhazy من أن نهايته كانت ببني يزناس جراء الوباء عام 1809[6].

إختلف الروايات حول نهاية ابن الشريف حيث قال عبد الرحمان الجيلالي ان الباي المقلش صاهر قبيلة الحشم التي كانت منشقة عن العثمانيين حتى يكسب تأييدها فخذلت ابن الشريف الذي فر بأهله إلى تلمسان ثم إلى جبال بني يزناس بالمغرب الأقصى حتى وفاته[7].

---

[1] أصله من قرية باغلة شبه آسيا الصغرى التركية و حضر إلى الجزائر صغيرا و قدم إلى وهران مع الباي محمد بن عثمان الكبير.

[2] يحي بوعزيز مدينة وهران عبر التاريخ المرجع السابق، ص74.

- وادي مينا واد ينبع في إقليم النجود وطوله 195كم و يمر بمدينة غليزان ثم يصب شمالا في الشلف وله فرع هو وادي العبد يلتقي بوادي مينا عند قرية فرطاسة.

[3] يحي بوعزيز ، مدينة وهران عبر التاريخ ، المرجع السابق، ص75.

[4] أحمد الشريف الأطرش، المر جع السابق، ص 284.

[5] الزياني، المصدر السابق، ص295.

[6] الزياني، المرجع نفسه، ص222

[7] عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص294.

هذا و يعود سبب فشل هذه الثورة إلى عداوة و محاربة بايات وهران لرجال التصوف و الطرق الدينية و ما تعرض له رجال الطريقة الدرقاوية من قتل كما مر معنا سابقا،إضافة الى ذالك أن الباي مصطفى المنزلي طلب بتضييق الخناق على الدرقاوي و إلقاء القبض على زعيمها ابن الشريف[1].

كما كان لتراجع قبائل المخزن عن نصرة ابن الشريف و عدم تلقي المساعدات من حلفاؤه الذين كان يتوقع منهم نصرته، ضف إلى ذلك انقطاع الدعم الخارجي خاصة من المغرب و اسبانيا[2].

ويرجع كذلك سبب فشل ابن الشريف أنه خرج عن المألوف و أدعى أنه المهدي المنتظر، و بدلا أن يعمل من أجل إقصاء الأتراك انحرف و أصبح عنيفا فأسلب الأنفس و الأموال و خرب العمران[3] .

المبحث الثالث: نتائج ثورة عبد القادر ابن الشريف

- لقد جرت ثورة درقاوة على الحكم التركي بالجزائر ويلات لصبغتها بالصبغة الدينية صار الأتراك يكيلون التهم لجميع رؤساء القبائل والطرق الصوفية،إذ أصبحوا لا فرق بينهم و بين المنتسبين لدرقاوة، و لم ينج من هذه التهم حتى الموالون للأتراك، مثل العالم السلفي المؤرخ ابو راس الناصري فأصابته بعض شظايا هذه التهم، و عزل من مناصبه الرسمية كالإفتاء و القضاء و قد ألف في ذلك كتاب أسماه " درء الشقاوة في فتنة درقاوة[4]".
- كما نتج عنها أيضا انها كانت سببا في هجرة بعض القبائل الجزائرية مثل قبيلة بني عامر و التي كانت من القبائل الداعمة لإبن الشريف، حيث قام بايات وهران بإخلاء أراضيها و في هذا الصدد يقول ابوراس الناصري: " ... و تركت أوطانهم قفرة لا ترقى

[1] أحمد مريوش، المرجع السابق،ص 124.
[2] الزهار، المصدر السابق، ص109.
[3] أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 125.
[4] ابن سحنون، المصدر السابق، ص49.

من سلكها أنيس و لا انس الا اليوم و الذئاب أهلها، دخلو المغرب و فارقوها من اختيار..."[1] .

- تدهور الحالة الصحية و المعيشية للبلاد و إنتشار الآفات و الأمراض و الأوبئة إلى جانب تراجع المستوى المعيشي للسكان بسبب الحروب و ما نتج عنها من حرق للحقول و المزارع، ففي وهران أيام الباي المقلش على حد قول المزاري " لا حادثة أشد في أيام المقلش من الغلاء المفرط و عناء الناس".
- كما أثرت هذه الثورة على الزراعة و أصبح المصدر الأساسي هو تربية المواشي التي يمكن الانتقال بها عند ظهور أي معركة[2]، وهذا النشاط الفلاحي لم يكن كافيا لتغطية الحاجات الغذائية للسكان خاصة مدينة وهران و التي كان نشاط سكانها ذا طابع حرفي صناعي، فلذلك هي في اعتماد دائم على ما ينتجه سكان الأرياف من القمح و الشعير.
- و ماترتب عن هذه الثورة و غيرها من الثورات ان سقطت الجزائر فريسة سهلة في يد الفرنسيين سنة 1830، بعد إضعاف قدراتها العسكرية و تردي الاوضاع السياسية و الإقتصادية[3].

خلاصة

تنتسب ثورة عبد القاد بن الشريف إلى الطريقة الصوفية الدرقاوية لصاحبها محمد العربي الدرقاوي المغربي، اندلعت هذه الثورة بسبب تردي الأوضاع السياسية و الإجتماعية لبايلك الغرب إضافة إلى سوء معاملة الأتراك لأصحاب الزوايا و الطرق الصوفية خاصة المنتسبين إلى الطريقة الدرقاوية .

ظهرت هذه الثورة في عهد الباي مصطفى المنزلي الذي انهزم أمام عبد القادر ابن الشريف في معركة فرطاسة و تراجع إلى مدينة وهران، حيث واصل الثوار الدرقاويين

[1] خيفي هلايلي، المرجع السابق، ص38.
[2] مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث،ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر 2003، ص37.
[3] خيفي هلايلي، المرجع السابق، ص271.

سطرتهم على معظم بايلك الغرب فإستولوا على معسكر و ملیانة و مازونة و القلعة و تلمسان، كما واصل ابن الشريف الزحف نحو مدينة وهران فحاصرها لمدة ثمان أشهر أحكم خلالها الحصار، اضطر داي الجزائر لتعيين الباي محمد المقلش الذي استطاع رفع الحصار على المدينة و تتبع فلول الدرقاويين و استمر ذلك خلال فترة مصطفى المنزلي الثانية و فترة الباي بوكابوس و أخير فترة الباي علي قارة، حيث إختفى ابن الشريف عن مصرح الأحداث سنة 1809 .

الفصل الرابع

المقارنة

المبحث الثاني : أوجه التشابه

المبحث الثاني: أوجه الإختلاف

بعد الدراسة الشاملة لموضوع الثورة الدرقاوية في بايلك الشرق بقيادة ابن الأحرش و بايلك الغرب بقيادة عبد القادر ابن الشريف في الفترة الممتدة بين سنتي 1800 إلى 1809، هذه الدراسة التي تتبعت مراحل الثورتين و مست الظروف الداخلية و الخارجية التي تحكمت و أثرت بشكل أو بآخر في مسار الثورتين و ماترتب عن هذا التأثير من نتائج.

أما فيما يخص مقارنة ابن الأحرش بـ عبد القادر ابن الشريف، فمع تميز كل منهما بشخصيته و أسلوبه في العمل و طريقته في معالجة الأمور، إلا أن هناك أوجه تشابه عديدة بينهما لايمكن أن نقلل من أهميتها.

المبحث الأول: أوجه التشابه

- كلاهما كان منتميا للطريقة الدرقاوية التي تعد من أشهر الطرق التي أشهرت العداء ضد العثمانيين أواخرعهدهم بالجزائر حيث ارتكزت تعاليمها على القوة و الإبتعاد عن السلطة و تدفع للتمرد على الجهاز الحاكم، و بالرغم من كونها طريقة دينية إلا أنها بدأت تأخذ منحنى العمل التحريضي من أجل التمرد على السلطة و العصيان لإضعاف الحكم[1]، و يتميز أتباعها باللحى الطويلة و إرتداء الخرق و العقد المشكلة من حبات خشبية كبيرة، وحمل العصا و يلقب كل واحد من أتباعها ببودربالة[2]، ولقد لعبت أدوار سياسية من خلال الثورات التي قادها أتباعها ضد الحكم العثماني فشكلت بذلك هيئة أو مؤسسة تتبنى آلام المجتمع وآماله وتتطلع بمهمة الدفاع عنه[3]

[1] خيفي هلايلي، المرجع السابق، ص ص 37-38.
[2] صالح عباد، المرجع السابق، ص303.
[3] مختار بوقفاب، المرجع السابق، ص387.

جل المصادر التي تكلمت على الثورة الدرقاوية تذكر إبن الأحرش ينتمي إلى الطريقة الدرقاوية على غرار الزياني في كتابه دليل الحيران الذي قال بأنه " فتى مغربي ملكي مذهبا، درقاوي طريقة، درعي نسبا"[1] و الأمر كذالك بالنسبة إلى عبد القادر ابن الشريف الذي تتلمذ على يد العربي الدرقاوي و عندما ذهب إلى المغرب الأقصى فاس حيث درس في معهد أحمد البوبريجي، وتعلم أصول الدرقاوية و أورادها و في هذا الصدد يقول المزاري" ذهب للمغرب و أخذ عن مولاي العربي تلميذ علي الجمل فقدمه بإعطاء الذكر لمن بهذا المحل"[2].

- كلاهما أسس معهدا أو زاوية بالجهة التي استقر بها لتفقيه الناس و تعليم الصبية فأنشأ ابن الأحرش في زاوية الزيتون بجيجل معهدا دينيا ببني فرقان لتعليم العلوم الدينية و تلقين الطلبة القرآن الكريم و فيه كشف عن خطته لإعلان الثورة ضد الحكم العثماني فعمل على إثارة السكان و استطاع جلب عدد كبير من الأنصار[3].

أما عبد القادر ابن الشريف فعند عودته من المغرب الأقصى أسس معهدا انتصب فيه لتدريس و تلقين أوراد الدرقاوية في قرية أولاد بليل[4]، و يصفه المزاري أنه كان أستاذ يقرأ القرءآن و يعز أهله و يزيل بتعليمه لكل جاهل جهله و الناس يشرون له بالصلاح[5].

- كلاهما نجح في كسب الأنصار و تأليف الجيوش و تحقيق إنتصارات أولية و سريعة في أول الأمر على سلطة البايلك فإبن الاحرش استطاع من كسب تأييد قبائل اولاد عيدون و بني مسلم و بني خطاب[6]، و التوجه بهم للإستيلاء على قسنطينة مركز البايلك حيث تمكن من القضاء على الباي عثمان في معركة وادي الزهور بمكان يسمى اخناق عليهم بعد أن نصب له كمين بقطع الطريق عليه بالأشجار وحولو معسكره إلى مستنقع بتغيير

[1] الزياني ، المصدر السابق،ص302.
[2] الزياني ،المصدر السابق، ص302.
[3] زينب جعني، المرجع السابق، ص133.
[4] ابن سحنون، المصدر السابق، ص42.
[5] المزاري، المصدر السابق، ص302.
[6] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص268.

مجرى الوادي نحوه[1]، حيث يصف لنا صاحب تحفة الزائر بقوله "فأمر ابن الأحرش بالنهر فسد ثم أطلق على المعسكر أول الليل فلما طلع الفجر إلا و الماء قد عم السهل كله"[2]، أما عبدالقادر ابن الشريف كان يجول البلاد باثا تعاليمه التي وجدت صدى كبير في وسط سكان الصحراء الذين كانوا يقدمون له الهدايا و في هذا الصدد يقول الزياني " كلها شيعته تهدي إليه الهدايا و تعطي العطايا"[3] حيث استطاع ابن الشريف أن يجمع اكبر عدد من الانصار و لما أتم استعداده اصطدم مع الباي مصطفى المنزالي في معركة فرطاسة التي انهزم فيها الباي و تراجع إلى مدينة وهران وقد قتل في هذه المعركة عدد كبير من رجال المخزن وقادة رجال الدولة العثمانية منهم كاتب الباي أحمد بن هطال، و أبو عبدالله أحمد الغزلاوي[4].

- كليهما حاصر عاصمة البايلك القريبة منه فإبن الأحرش لما استكمل عدته و جمع جندا كثيرا من قبائل جيجل و سكيكدة، والقل حمل على قسنطينة وحاصرها أياما[5] سنة1219هـ الموافق لـ 1804م غير أنه فشل في إقتحام المدينة بسبب قوة مدافعها و انشغال جيشه بجمع الغنائم و نهب الإسطبلات مما أوقع فوضى بين صفوفهم فإضطر إلى الإنسحاب أمام تحالف أهالي مدينة قسنطينة وأعيانها الذين تصدو له بقيادة أحمد إ بن الابيض و أحمد الفكون الذين حالوا دون سقوط المدينة حيث خرج احمد ابن الابيض ومعه ألف مقاتل فألتقى الجمعان في عقبة الصمار و قتل من جيش ابن الاحرش نحو مائتي رجل منهم و أصيب ابن الأحرش نفسه بجرح فأنسحب أصحابه و حملوه ورجع سكان مدينة قسنطينة و تحصنو بسورها[6]، أما عبد القادر ابن الشريف حاصر عاصمة البايلك وهران بعد إنهزام قوات الباي مصطفى المنزلي[7] في معركة فرطاسة كما مر معنا،

[1] ناصر الدين سعيدوني ، تارخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص344.
[2] محمد الامير بن عبد القادر الجزائري، العهد العثماني، المصدر السابق، ص139
[3] الزياني ، المصدر السابق، ص208.
[4] المزاري، المصدر السابق، ص304
[5] أحمد الشريف الاطرش السنوسي، المرجع السابق، ص279.
[6] محمد الصالح العنتري، المصدر السابق، ص ص 30-31
[7] نصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص280.

معنا، حيث دامت مدة الحصار 08 أشهر دخلت البلاد خلالها في ضائقة شديدة كادت تودي بحياة أهلها بعدها قام داي الجزائر بتعيين الباي محمد المقلش الذي استطاع أن يرفع الحصار عن المدينة[1].

- كلاهما تعرض لعداوة سكان المدن و شيوخ القبائل القوية فإبن الأحرش قاومه سكان قسنطينة الذين كانوا منغلقين على أنفسهم مترفعين على أهالي الريف و متخوفين منهم بينما كان سكان المناطق الريفية المنعزلين في بطون الأودية و سفوح الجبال يعتزون بشجاعتهم و يرون في سكان المدن مجرد أعوان للبايلك و عيون للسلطة الحاكمة، اما زعماء العشائر و شيوخ القبائل الكبيرة فقد رأوا في حركة العامة خروجا عن التقاليد و اعتبروا ابن الأحرش منافسا خطيرا يعرض مكانتهم و سمعتهم للخطر فسارعوا إلى إمداد الدولة بالمساعدة و تجنيد فرسانهم للقتال مع الفرق اليولداش وكان على رأس هؤلاء شيوخ أولاد مقران بمجانة و سطيف و اولاد عاشور بفرجيوة و عائلة ابن قانة بالزيبان[2]، أما عبدالقادر ابن الشريف لقد تعرض هو الآخر لعداوة سكان المدن و القبائل الموالية للعثمانيين مثل قبيلة الغرابة و بعض الشخصيات الفاعلة في المجتمع نذكر على سبيل المثال أبي راس الناصري الذي كان من ضحايا ثورة عبدالقادر ابن الشريف حيث ألف في ذلك كتابا أسماه " درء الشقاوة في فتنة درقاوة"[3] ومع دخول ثورة عبدالقادر ابن الشريف مرحلتها الأخيرة بدأت تنقلب عليه جل القبائل التي وقفت إلى جانبه مثل قبيلة الأحرار في الجنوب الوهراني و هذا ما يعطينا فكرة على تراجع التأييد الشعبي لثورة ابن الشريف خصوصا بعد العقوبات التي كان يسلطها بايات وهران على العائلات و القبائل التي وقفت إلى جانبه، لذلك نفر منه سكان تلمسان و معسكر ووهران و حاربه شيوخ عشائر المخزن من الدواوير و الزمالة[4].

[1] حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص34.
[2] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص290.
[3] الزياني، المصدر السابق، ص12.
[4] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص208.

- كلا الثورتين لقيت الدعم من طرف قوى خارجية ذات المصالح بالجزائر فإبن الأحرش وجد التشجيع من باي تونس حمودة باشا الذي أراد إبعاد أنظار العثمانيين عنه وعدم تدخلهم في شؤون تونس الخاصة، خصوصا وأن حكومة تونس كانت تدفع ضريبة سنوية للجزائر منذ عهد علي باي الحسيني الذي ساعده حكام الجزائر في إقامته على العرش[1]، إذ يذكر أحمد الشريف الزهار " كانت عند حكومة باشا دسيسة في خاطره على ملوك الجزائر و لم يظهر لهم ذلك خوفا منهم إلتزاما لوصية أبيه علي باي عندما حضرته الوفاة و كان يساعدهم و يعطيهم السنوية التي إلتزمها لهم"[2]، إضافة إلى الدور الذي لعبته إنجلترا في تشجيع ابن الأحرش للثورة ضد العثمانيين حيث أغروه بالهدايا و الأسلحة و هذا من أجل القضاء على المصالح الفرنسية بالجزائر و من جملة ما قدم له بندقية ذات ثلاث طلقات كما أن ابن الأحرش كان يردد دوما أن الإنجليز أصدقاؤه و هم من حرر أرض مصر من الفرنسيين، و ان الله أمرني أن أعاملهم بالحسنى و أن أتتبع خطواتهم، وهذا ما طبقه فيما بعد حيث أمر أتباعه بإحترام سفن الإنجليز الذين استطاعوا إقناعه بتواطئ الداي مع فرنسا لذا عليه القيام بالحرب ضده لأنها واجب ديني و جهاد مقدس[3]، أما عبد القادر ابن الشريف وجد التأييد من سلطان المغرب مولاي سليمان الذي مكنته أحداث ثورة درقاوة من الإستيلاء نهائيا على مدينة وجدة و أقاليمها من خلال تدعيم الثورة الدرقاوية لإضعاف شوكة العثمانيين في الإقليم الغربي من الجزائر الذي كان حلم المغاربة الدائم منذ سقوط الدولة الموحدية[4]، ويذكر عبد الكريم الفيلالي في كتابه التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير " ظهر للعرب خلاف ما ظنو وظهر للقوم كذب الدرقاوي وبطلان زعمه فتلقى امره بالرجوع عن وهران لتلمسان، فنزلوا عليها وضيقوا بأهلها وخدعهم العربي الدرقاوي و قال لهم إننا فعلنا هذا بأمر السلطان"[5]، و بالإعتماد

[1] أحمد الشريف الاطرش السنوسي، المرجع السابق، ص278.
[2] الزهار، المصدر السابق، ص85.
[3] مبارك المليلي، المرجع السابق، ص253.
[4] أحمد مريوش، المرجع السابق، ص123.
[5] عبد الكريم الفيلالي، المرجع السابق، ص19.

على الرسائل المتبادلة بين شيخ الطريقة و السلطان العلوي سنة 1805 نستنتج أن السلطان لم يرفض البيعة وكانت نيته القيام بتدخل عسكري في المنطقة الغربية من الإيالة ولكن الظروف حالت دون تحقيق ذلك[1] خاصة بعد فشل الحصار الذي ضربه ابن الشريف حول مدينة وهران، وهنا أدرك السلطان إستحالة خوض هذه المغامرة و التظاهر بعدم قبول البيعة لإبن الشريف كما أن مقولة أن صاحب الطريقة العربي الدرقاوي أنه كان يجهل أن الأتراك لا يصومون ولا يصلون أمر لا يقبله المنطق.

- كلاهما كان يتميز بشخصيته القوية التي تتصف بالطموح و الشجاعة و الإندفاع و الحماس والدهاء و الحيلة، و القدرة على إقناع الناس و لو بإظهار أشياء توهمهم بأنهما أصحاب كرامات، حيث اتبعا في ذلك أساليب بسيطة تتلائم و عقلية أهالي الأرياف الذين كانوا على استعداد لإعلان العصيان[2].
- وإذا سلطنا الضوء على ثقافة كل منهما نجد أن كليهما يتمتع بثقافة دينية واسعة ولسان فصيح[3]، إذ أن كل منهما فتح زاوية لتعليم الصبية وهذا ما يعطي صورة واضحة على المستوى العلمي و الديني لهذه الشخصيتين، فإبن الاحرش كان يقود وفد الحجيج وهذه المهمة لا تعطى إلا لعالم متمكن ونفس الشيئ بالنسبة لعبد القادر ابن الشريف الذي يقول فيه المزاري " وكان القائم في أول حاله عالما متفننا في سائر العلوم، محققا لها بقيودها المنطوق و المفهوم ورعا زاهدا متعبدا راكعا ساجدا"[4].
- كلا الثورتين حملت شعارات دينية و قد جاءت كرد فعل على إخلال العثمانيين بالمبادئ الدينية التي تقتضي المساواة لا التمييز الذي فرضه العثمانيون، فهذه الثورتين كانتا بمثابة رد فعل على تصرفات السلطة الجائرة التي أثقلت كاهل السكان بالضرائب، و بالتالي كانتا تعبير لغضب الرعية عن الظروف الإجتماعية التي كانت تعاني منها[5].

[1] خيفي هلايلي، المرجع السابق، ص34.
[2] ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص346.
[3] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص279.
[4] المزاري، المصدر السابق، ص302.
[5] خنوف علي، المرجع السابق، ص 43

كما أن الثورتين فشلتا في تحقيق الهدف الذي كانت تصبو إليه، أذ ان ابن الأحرش فشل في إقتحام عاصمة بايلك الشرق قسنطينة لحصانتها و إستماتة أهلها في الدفاع عنها نفس الشيئ بالنسبة لثورة عبدالقادر ابن الشريف التي فشلت في إقتحام عاصمة بايلك الغرب وهران، إلا انهما خلقتا أضرار إقتصادية كبيرة أدت إلى إضعاف قوة العثمانيين في الجزائر[1].

المبحث الثاني أوجه الإختلاف

من خلال عرضنا و دراستنا للثورتين ابن الأحرش و عبد القادر ابن الشريف، و بعد استخلاص نقاط التشابه التي كانت عديدة و بارزة لاحظنا كذلك أن هناك نقاط اختلاف يمكن ذكرها كالتالي:

1. من حيث النسب : أن جل المؤرخين الذين كتبوا عن ثورة ابن الأحرش اتفقوا أن ابن شخصية مغربية غامضة ظهرت في الشرق الجزائري وقد ادعى انه من اتباع الطريقة الدرقاوية ، جاء إلى الجزائر و نشر تعاليم هذه الطريقة و قد عرف لدى العامة بمحمد ابن عبد الله ابن الأحرش الملقب بالبودالي نسبة إلى أدبال الصالحين[2].

وعرف عند الكتاب الرسميين حيث أشار إليه أحمد بن مبارك في تاريخ حاضرة قسنطينة بأنه رجل مغربي يزعم أنه من شرفاء فاس، بينما اكتفى العنترى بالقول بأنه رجل يدعي الشرف[3].

وحسب الأستاذ سعيدوني ناصر الدين أن انتسابه الى المغرب لا يعني أنه فعلا من المغرب، بل جرت العادة في هذه الفترة على أن كل غريب يدعي النسب الشريف إلى الأدارسة بالمغرب الأقصى و قد دعى إلى الطريقة الدرقاوية التي كانت بمثابة حركة

[1] زينب جعني، المرجع السابق، ص137.
[2] العطار، المصدر السابق، ص46.
[3] ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، 341.

ثورية، و غالبا ما ينسب نفسه إلى الساقية الحمراء و منطقة السوس و هذا حتى يكسب هيبة و مكان لدي العامة[1].

ومن خلال تباين هذه التعاريف حول هذه الشخصية نستنتج أنها شخصية مجهولة النسب أما عبد القادر ابن الشريف فهو شخصية جزائرية معروفة النسب يعود أصله حسب ما اجتمعت عليه غالبية المصادر إلى قبيلة بربرية هي كسانة القاطنة عند ضفاف "وادي العبد" جنوب" سهل غريس " القريبة من مدينة الكسانة قبيلة من البربر بواد العبد[2].

ومن خلال دراستنا لهذه الشخصية نلاحظ أن المصادر و المراجع اتفقت حول نسب عبدالقادر ابن الشريف ودراسته في زاوية محي الدين والد الأمير عبد القادر ، وانتقاله بعد ذلك إلى المغرب الأقصى فاس للدراسة في معهد محمد العربي الدرقاوي اين انضم إلى الطريقة الدرقاوية إذ عينه أستاذه مقدما للطريقة الدرقاوية[3] في الجزائر.

2- من حيث الإنتشار: لم تستطع ثورة ابن الأحرش في بايلك الشرق ان تنتشر بالقدر الذي عرفته انتشار ثورة عبدالقادر ابن الشريف في بايلك الغرب وذلك لعدم تمكن الطريقة الدرقاوية من إيجاد أنصارا لها بالشرق الجزائري، وذلك لكون أغلب العشائر الكبيرة والقبائل القوية كانت تدين بالولاء لشيوخها و زعمائها الذين كانوا يستمدون نفوذهم من رجال البايلك مقابل الإمتيازات التي كانوا يحصلون عليها، كما ان أغلب سكان الأرياف في بايلك الشرق كانوا ينتمون إلى الطريقة الرحمانية المهادنة للحكام الاتراك و المتعاملة مع سلطة البايلك وهذا بخلاف الغرب الجزائري الذي استطاعت الطريقة الدرقاوية أن تتغلغل فيه و ان تكتسب ولاء أغلب قبائله لا سيما الخاضعة منها لسلطة البايلك مثل قبائل الرعية، بحيث أصبحت تشكل القوة الرئيسية المعادية للأتراك و المناهضة لنفوذهم في تلك الجهات وذلك منذ أن نجح أول داعية درقاوي بنواحي تلمسان يعرف بمحمد بن

[1] ناصر لدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص266.
[2] محمد بن عبد لقادر الجزائري، المصدر السابق، ص 115
[3] ابن سحنون، المصدر السابق، ص42.

علي القاطن بعين الحوت من تجنيد الفلاحين ضد سلطة البايلك عام 1780 ورغم تمكن الباي خليل متولي بايلك الغرب من إخماد حركته فإن عامة الناس ظلت تعتقد بصلاح وصدق تبنؤات دعاة درقاوة الذين ظهروا بعده في تلك الجهات[1].

3 بالنسبة للتواصل مع صاحب الطريقة: ما أتفقت عليه المصادر و المراجع ان كل من ابن الأحرش و عبد القادر الشريف ينتميان إلى الطريقة الدرقاوية وهذا أمر لا يختلف حوله إثنان إلا أننا من خلال دراستنا للثورتين لم نصادف ولو لمرة واحدة أن ابن الأحرش أتصل بمحمد العربي الدرقاوي، رغم أن ابن الأحرش من المغرب الأقصى ، وهذا ما أكدته المصادر على غرار الزياني و ابن سحنون في كتابه الثغر الحماني عندما تكلم على ثورة ابن الأحرش وقال أن قائدها درقاوي مغربي[2] الأصل وما يثبت إنتمائه إلى المغرب الأقصى أنه ذهب على رأس وفد حجاج من المغرب إلى مكة المكرمة، ورغم كل هذا لم تذكر المصادر أنه إلتقى بالعربي الدرقاوي أو راسله.

لكن بالنسبة لعبد القادر ابن الشريف كانت علاقته وطيدة بصاحب الطريقة الدرقاوية، كانت مستمرة و على تواصل دائم بداية من تتلمذه على صاحب الطريقة إلى غاية تعيينه مقدما للطريقة بالجزائر حيث يذكر صاحب كتاب الإستقصاء أن العربي الدرقاوي تنقل بنفسه لمقابلة عبد القادر ابن الشريف عند حصاره لمدينة وهران فشكا عبد القادر إلى شيخه ما نال الفقراء و المنتسبين وسائر الرعية من تعسف الترك[3] بل أبعد من ذلك قام ابن الشريف بتقديم بيعته عن طريق العربي الدرقاوي للسلطان سليمان مع وفد من الغرب الجزائري، وهذا ما يؤكد الصلة القوية التي كانت تربط عبدالقادر ابن الشريف بصاحب الطريقة.

[1] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع لاسابق، ص286.
[2] ابن سحنون، المصدر السابق، ص46.
[3] الناصري، المصدر السابق، ص110.

4 من حيث الإقليم: ثورة ابن الأحرش كانت في بايلك الشرق وهو يعتبر من أكبر الولايات الموجودة في الجزائر تأسست سنة 974هـ- 1576م و يحتل المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد دار السلطان يمتد من الحدود التونسية شرقا إلى بلاد القبائل الكبرى غربا و يحده من الشمال البحر الابيض المتوسط ومن الجنوب الصحراء تمركزت ثورة ابن الأحرش فيه في كل من قسنطينة عاصمة البايلك، جيجل، ميلة.

أما ثورة عبد القادر ابن الشريف كانت في بايلك الغرب الذي كانت عاصمته في بادئ الأمر مازونة ثم معسكر إلى أن استقر مركزه في وهران يمتد من الحدود المغربية غربا إلى بايلك التيطري شرقا و البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى الصحراء جنوبا[1]، و قد تمركزت ثورة عبدالقادر ابن الشريف في كل من وهران عاصمة البايلك، معسكر وتلمسان حتى إلى الأغواط جنوبا .

5 من حيث المدة الزمنية: بالرغم من أن الثورتين (ابن الأحرش و عبد القادر) إنطلقتا في ظروف في واحدة و في زمن واحد إلا أن إحداهما كانت أطول من الثانية، فثورة ابن الأحرش كانت الاقصر زمن حيث انطلقت من سنة 1800م و انتهت سنة 1807م عندما عين الباي عبدالله ابن اسماعيل[2] حيث عمل على تشتيت جموع ابن الأحرش بنواحي ميلة سنة 1806 و بعد هذه الهزيمة اختفى ابن الأحرش من ضواحي قسنطينة[3].

أما ثورة عبدالقادر ابن الشريف كانت أطول مدة من الأولى حيث استمرت طوال فترة حكم اربع بايات مع تجديد فترة حكم الباي مصطفى المنزالي مرتين حيث استمرت إلى غاية حكم الباي علي قارة اين اختفى عن مسرح الأحداث سنة 1809م أما نهايته كانت محل خلاف بين المصادر حيث يذهب الزياني إلى أنه مات بالوباء[4].

[1] عائشةغطاس،الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها،دون طبعة،منشورات المكز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية ،الجزائر ،ص210

[2] الباي اسماعيل: عينه الداي مصطفى بايا على بايلك الشرق بعدما قتل الباي عثمان حيث عمل على القضاء على ابن الأحرش و أتباعه بحيث نظم بايلك الشرق، ينظر: اعنتري ، المصدر السابق، ص73

[3] ناصر الدين سعيدوني ، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص321.

[4] الزياني ، المصدر السابق، ص222.

6 من حيث الخطورة : بالرغم من ان كل من ابن الأحرش و عبدالقادر الدرقاوي قد تلقيا الدعم من أطراف خارجية إلا أن ثورة عبد القادر ابن الشريف كانت أكثر خطورة من ثورة ابن الأحرش، ذلك لأن الثورة الاولى تلقت الدعم من منطقة خارجة عن سلطة العثمانيين و هي المغرب الأقصى وربما هذا ماكان وراء استمرارها و إتساع مجال إنتشارها ولعل السلطان المغربي كان يفكر في ضم تلمسان إلى المغرب الأقصى لكنه لم يكن مستعد بأي حال من الأحوال لتوريط نفسه في مغامرة قد تشعل نار الفتنة على الحدود الشرقية[1].

أما ثورة ابن الأحرش فقد تلقت الدعم من والي عثماني وهو باي تونس حمودة باشا الذي كان يهدف إلى إحداث عراقيل لحكومة إيالة الجزائر التي كانت على علاقة سيئة معها فقام بتحريض ابن الأحرش على الثورة ضدها[2].

7 من حيث الخسائر: اتفق الكتاب والباحثين على أن ثورتا ابن الاحرش و عبد القادر ابن الشريف قد جرتا على إيالة الجزائر ويلات وخسائر وخيمة في الارواح و العتاد وخير دليل على ذلك ماقاله المؤرخ أبو راس الناصري في كاتبه " درء الشقاوة في أخبار درقاوة" حيث قال " ... و قد خبطتنا فتنة لم نكن فيها أتقياء بررة ولا أقوياء فجرة.... فإتصلت علينا أوامر النكابات و البليات من الخوف و الجوع و الروع ..."[3]

إلا أن ثورة ابن الأحرش رغم قلة إطارها الزماني مقارنة بثورة عبد القادر ابن الشريف إلا أن خسائرها كانت جسيمة حيث يذكر ابن سحنون أن ثورة ابن الأحرش كانت أشد إذ في أول معركة بين الثائر و الأتراك مات الباي عثمان[4] ونتج عن هذه الثورة أيضا إضطرابات كبيرة في الحياة الإقتصادية للبلاد حيث أهملت الفلاحة و حدثت مجاعة كبرى من كثرة الأهوال و الفتن.

[1] محمد المنصور، المرجع السابق ، ص285.
[2] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص 328.
[3] ابن سحنون، المصدر السابق، ص48.
[4] ابن سحنون ، المصدر نفسه، ص48.

خاتمة

من خلال دراستنا لموضوع ثورتا ابن الأحرش و عبد القادر الدرقاوي في الجزائر خلال الحكم العثماني توصلنا إلى النتائج التالية :

- تردي الأوضاع السياسية في الجزائر في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني كان نتيجة فساد نظام الحكم لدى العثمانيين و الضغط الخارجي أدى إلى الإضطرابات السياسية الداخلية ما إنعكس سلبيا على سلوك الحكام و تعاملهم مع السكان.
- الجدير بالذكر ان الفترة الأخيرة من الحكم العثماني تميزت بتدهور الوضع الإقتصادي بسبب إرتفاع الضرائب التي كانت مسلطة عى هذا القطاع و قلة المردود الزراعي الذي كان لا يلبي إحتياجات السكان المحلية، أما التجارة الخارجية فكانت تحت سيطرت اليهود الذين قاموا بدور الوساطة في كل العمليات التجارية و احتكروا قسما منها، كما عرف الإقتصاد موجات عنيفة حيث تأثر بالجفاف و الأوبئة التي تسببت في تقهقر الزراعة و أدى إلى إضطراب الاحوال السياسية و الإقتصادية.
- تدهورت العلاقة تدريجيا بين سلطة الزوايا و الطرق الصوفية في الفترة الاخيرة من الحكم العثماني فبمجرد إسترجاع وهران من الإسبان، وزوال مبرر التحالف، وهو الجهاد ضد العدو، مما تسبب في فتور العلاقة بين الطرفين و إحداث القطيعة بين الاتراك و الزوايا.

حملت هذه الثورات شعارات دينية, و قد جاءت كرد فعل على تصرفات الحكام الجائرة، و التي أثقلت كاهل السكان بالضرائب و كان ذلك تعبيرا لغضب الرعية للظروف المعيشية التي كانت تعاني منها.

- تعتبر الطريقة الدرقاوية الطريقة الأكثر إنتشارا و توسعا و نفوذا خاصة في بايلك الغرب حيث سعت للوقوف في وجه السلطة العثمانية و عملت على التحريض و العصيان والتمرد، بالرغم من كونها طريقة دينية.

- لقد إتسمت ثورة درقاوة سواء في بايلك الشرق بقيادة إبن الأحرش أو في بايلك الغرب بقيادة عبد القادر ابن الشريف بسرعة الإنتشار و هذا راجع لكون زعمائها تمتعوا بالنفوذ الروحي خاصة في أوساط سكان الأرياف.
- هدفت الثورتان إلى وضع حد لإستنزاف خيرات السكان، خاصة بالريف من قبل السلطة الحاكمة.
- كانت الثورتان مدعمتان من قبل قوى خارجية، وكان لبايات تونس و سلاطين المغرب دور في ذلك للوصول إلى غايتهم، فالمغاربة بحكم نسبهم الشريف كانوا يعتقدون أنهم الأولى بالحكم من العثمانيين فأخذوا الطريقة الدرقاوية وسيلة لتحقيق أهدافهم، أما تونس فقد أراد حكامها إبعاد أنظار الحكام الجزائريين عن تونس و ضمان عدم تدخلهم في شؤونها الخاصة.
- فشلت الثورتان في الوصول إلى مبتغاها، رغم إنتشارها الواسع، نظرا للإختلافات المذهبية،و لهذا فإن ابن الأحرش لم يتلقى الدعم الكافي من السكان،لأن الشرق الجزائري كان تابع عموما للطريقة الرحمانية، أما عبد القادر ابن الشريف لم يتلقى الدعم من الطريقة التجانية في الغرب الجزائري رغم وقوف هذه الأخيرة ضد العثمانيين ولكونها لها أتباع كثر في بايلك الغرب.
- نجاح السلطة الحاكمة في إخماد هذه الثورة و الإنتقام من مفتعليها نظرا لإنعدام التنظيم و القيادة السياسية المحكمة التي لا يكفي فيها الإعتماد على إثارة العواطف، بحيث غلب عليها الطابع المحلي، مما يسر على البايات محاصرتها و لاقضاء عليها .

تعتبر الثورة الدرقاوية إحدى الأسباب التي عجلت بسقوط الحكم العثماني بالجزائر.

تتمة المصادر والمراجع

اولا: المصادر

1. الناصري أبو العباس احمد بن خالد الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى القسم الثاني، الجزء الثامن، تحقيق جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997.
2. الزهار أحمد الشريف، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، تعيين أشراف اللجزائر، 1754-1830، تحقيق أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1974.
3. الزياني محمد يوسف، دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق المهدي بوعبدلي، الطبعة الأولى، عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر 2013.
4. الجزائري محمد عبد القادر، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و الامير عبد القادر، الجزء الأول، المطبعة التجارية غرزوزي و جاويش، الإسكندرية، 1903.
5. الراشدي أجمد بن محمد علي ابن سحنون، الشعر الحماني في إبتسام الثغر الوهراني، تحيقيق المهدي بوعبدلي، الطبعة الأولى، دار زمورة للنشر و التوزيع، الجزائر 2013.
6. المزاري بن عودة طلوع سعد السعود في أخبار وهران الجزائر ،إسبانيا و فرنسا إلى أواخر القرن اتاسع عشر، تحقيق يحي بوعزيز، الجزء الاول، دار الغرب الإسلامي، الجزائر 1990.
7. ابن العنتري محمد الصالح، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة و استيلائهم على أوطانها، تحقيق يحي بوعزيز، عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر 2013.

8. ابن ميمون محمد الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق و تقديم محمد بن عبد الكريم، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1981.
9. ابن العطار أحمد بن مبارك، تاريخ بلد قسنطينة، تحقيق عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة و النشر و التوزيع، قسنطينة 2011.
10. خوجة حمدان، المرآة، تقديم و تحقيق محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر 2006.
11. فايست أوجين، تاريخ بايات قسنطسنة في العهد التركي (1792-1830)، ترجمة صالح نور، تقديم عبد الرحمان شيبان، الطبعة الاولى، الجزء الثاني، دار طليطلة، الجزائر 2013.

ثانيا: المراجع

1. الفيلالي عبد الكريم، التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير، الطبعة الأولى، الجزء الخامس، شركة فاس للطباعة،القاهرة، 2006.
2. الفيلالي مختار الطاهر،نشأة المرابطين و الطرق الصوفية و اثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني، الطبعة الأولى، دار الفن الغرافكي للطباعة و النشر، الجزائر، 1976.
3. الزبيري محمد العربي، التجارة الخارجية للشرق الجزائري،دون طبعة، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر.
4. العقبي صلاح مؤيد، الطرق الصوفية و الزوايا بالجزائر تاريخها و نشاطها، الجزء الأول، دار البوراق، لبنان، 2002.
5. الميلي محمد مبارك، تاريخ الجزائر القديم و الحديث، الجزء الثالث، مكتبة النهضة، الجزائر، 1964.

6. الجيلالي عبد الرحمان، تاريخ الجزائرالعام، الجزء الثالث، شركة دار الأمة الجزائر،2010.
7. التر عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، بيروت،1989.
8. السنوسي أحمد الشريف الأطرش، تاريخ الجزائر في خمسة قرون، الجزء الأول، دار البصائر للنشر و التوزيع الجزائ، 2013.
9. المنصور محمد، المغرب قبل الإستعمار المجتمع و الدولة ، و الدين1792-1822، ترجمة محمد حيدة، الطبعة الأولى المركز الثقافي المغربي 2006.
10. بوعزيز يحي، مدينة وهران عبر التاريخ، الطبعة الثانية، دار زمورة للنشر و النوزيع، الجزائر 2015.
11. بوعزيز يحي، الموجز في تاريخ الجزائر، الطبعة الثانية، الجزء الثاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر2009.
12. بونار ، تاريخ المغرب العربي تاريخه و ثقافته، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع الجزائر.
13. بن خويا إدريس، واقع الطرق الصوفية بإقليم توات.
14. خنوغ علي، السلطة في الأرياف الشمالية لبايلك الشرق الجزائري، نهاية العهد العثماني و بداية العهد الفرنسي، المتحف الوطني للمجاهد الجزائر1999.
15. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي (150- 1830)، الطبعة الأولى، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998.
16. سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، الطبعة الثانية، دار البصائر 2009.
17. سعيدوني ناصر الدين، طتارخ الجزائر في العهد العثماني، الطبعة الثانية، دار البصائر الجديدة للنشر و التوزيع، الجزائر2013.

18. سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني(1792-1830) الطبعة الثالثة، البصائر الجديد للنشر و التوزيع، الجزائر 2012.
19. عباد صالح، ةالجزائر خلال الحكم التركي، الطبعة الأولى، الألمعية للنشر و التوزيع، الجزائر 2013.
20. غطاس عائشة،الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها،دون طبعة،منشورات المكز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954،الجزائر.
21. فركوس صالح، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين(814 ق.م- 1962)، دار العلوم للنشر و التوزيع، الجزائر2002.
22. قنان جمال، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث(1500-1830)، طبعة خاصة، دار هومة، 2007.
23. مريوش أحمد ، الحياة الثقافية في الجزائرخلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية دار القصبة للنشر، الجزائر2007.
24. هلايلي حنفي، أوراق في تاريخ الجزائر العهد العثماني، الطبعة الأولى، دار الهدى، الجزائر2008.

ثالثا: المجلات

1. بونقاب مختار، الطريقة الدرقاوية في الجزائر الحضور و الأثر، الحوار المتوسطي، جامعة بسكرة، العدد 11-12، مارس 2016.
2. زينب جعني ثورة ابن الاحرش في بايلك الشرق(1800-1807) عصور جديدة، قسنطينة، العدد 18، أوت 2015م/1436هـ.

3. شودار مبارك، لمحة عن الأوضاع السياسية في الجزائر في أواخر العهد العثماني، مركز البحث في العلوم الإسلامية و الحضارة، الأغواط، العدد الرابع، ديسمبر 2016.

رابعا: المذكرات

1. بولحبال رياض، أخبار بلد قسنطينة و حكامها، إشراف إسماعيل ساهي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية، قسم التاريخ و علم الآثار، جامعة منتوري، قسنطينة 2009-2010.
2. بلغيت عبد القادر، الحياة السياسية و الإجتماعية لمدينة وهران خلال العهد العثماني، أشرف أحمد الحمدي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم الإنسانية و الحضارة و الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران2013-2014.
3. القشاعي المولودة فلة، النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني، ، إشراف ناصر الدين سعيدوني، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1989-1990.
4. مرتاض عبد الحكيم، الطرق الصوفية بالجزائر في العهد العثماني (1518-1830) إشراف عبد الحميد حاجيات، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران،2015-2016.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
شكر وعرفان	
الإهداء	
الإهداء	
مقدمة	02
مدخل الطريقة الدرقاوية وانتشارها في الجزائر	09
الفصل الأول: الظروف و الأوضاع العامة لبايلك الشرق و الغرب	
المبحث الأول: الظروف الخارجية	15
المبحث الثاني : الظروف و الاوضاع الداخلية	18
الفصل الثاني: ثورة ابن الأحرش في بايلك الشرق	
المبحث الأول : ابن الأحرش و أسباب ثورته	25
1. التعريف بإبن الأحرش	25
2. أسباب ثورة ابن الأحرش	26
المبحث الثاني: مراحل ثورة ابن الأحرش	28
1. مرحلة الإعداد و التحضير	28
2. مرحلة الهجوم العسكري	31
3. مرحلة التراجع و الإنهزام	34
المبحث الثالث: نتائج ثورة ابن الأحرش	36
الفصل الثالث: ثورة عبد القادر ابن الشريف	
المبحث الاول: عبد القادر ابن الشريف و أسباب ثورته	40
1. التعريف بشخصية عبدالقادر ابن الشريف	40
2. اسباب ثورة عبد القادر ابن الشريف	41
المبحث الثاني: مراحل ثورة عبد القادر ابن الشريف	42
1. مرحلة الإعداد و التحضير	42
2. مرحلة القوة و المواجهة	44
3. مرحلة التراجع و الإنهزام	48
المبحث الثالث: نتائج ثورة عبد القادر ابن الشريف	52

فهرس الموضوعات

الفصل الرابع: المقارنة	
المبحث الأول: أوجه التشابه	56
أوجه الإختلاف	62
خاتمة	68
قائمة المصادر و المراجع	

ملخص المذكرة

إن أهم ما ميز الفترة الأخيرة من العهد العثماني في الجزائر، انتشار اضطرابات في مختلف أنحاء البلاد، مما تسبب في عدم استقرارنظام الحكم وتدهور الأوضاع العامة للبلاد،خاصة بعد تراجع عوائد الغزو البحري،بحيث جعلت السلطة تقوم بإتباع سياسة جبائية تعسفية تجاه السكان، و أدى ذلك بدوره إلى توتر العلاقة بين السلطة الحاكمة و بعض شيوخ الطرق الصوفية وبالتالي اندلاع سلسلة من الثورات في بداية القرن التاسع عشر الميلادي.

و شكلت ثورة الدرقاويين سواء في بايلك الغرب أو بايلك الشرق، بالرغم من أنها رفعت شعارات دينية، متنفسا لبعض قبائل الرعية للتعبير عن سخطها على الأوضاع التي تعيشها من جراء المغارم والضرائب؛وهذه الثورات رغم أنها لم تحقق هدفها الرئيسي المتمثل في الإطاحة بالنظام العثماني بالجزائر، إلا أنها ساهمت في إضعافه داخليا وخارجيا، بحيث مهدت الطريق لسقوط الجزائر بعد سنوات في يد الفرنسيين.

Résumé dela thése

La dernière époque ottomane en Algérie a connu une vague de troubles dans plusieurs régions du pays.Ce qui a causé une instabilité grandissante au sein du gouvernement ottoman de l'eyalet et une dégradation de la situation en général, Surtout avec le recul des revenus des activités maritimes, de manière

qui a conduit l'autorité à poursuivre une politique fiscale oppressante vis-à-vis

de la population ; ce qui a provoqué à son tour des rapports tendus entre le pouvoir dirigeant et les cheiks des confréries soufies, et en conséquent à une

série de révoltes au début du dix-neuvième siècle.

La révolte "derqaoui" a constitué soit dans le beylik de l'ouest ou dans celui de l'est, malgré les leitmotivs religieux relevés, une échappatoire à quelques tribus raya pour exprimer leur mécontentement de la situation difficile vécue à cause des impôts et taxes. Et ces révoltes, bien qu'elles ne parvinrent pas à leur objectif principal qui était de renverser le pouvoir ottoman en Algérie, participèrent à l'affaiblir sur le plan intérieur et extérieur ; de façon qui a concourut à la chute d'Alger, après quelques années aux mains des Français.